صوت الأمة

بنارس، الهند

ذو القعدة، ذو الحجة ١٤٤٦هـ

مايو، يونيو ٢٠٢٥م

عيد الأضحى: مقاصده التربوية والإيمانية	٣
الوظائف الشرعية في عشر ذي الحجة	٢٠
مظاهر الرحمة بعد تطبيق عقوبة الزنا	٢٧
نظام التفاهة وعالم الرويضة!	٤٣
إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية	٤٨

اتخاذ يوم عاشوراء مأتمًا بدعة لا أصل لها

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

«وأما اتخاذه مأتما كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنه فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم».

(لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: ص٥٤)

دار التأليف والترجمة، بنارس، الهند

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد: ٥٦	العدد: ٥-٦	ذو القعدة، ذو الحجة ١٤٤٦ هـ	مايو، يونيو ٢٠٢٥م

هيئة المجلة

المشرف العام

عبدالله سعود بن عبدالوحيد

رئيس التحرير

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

مساعد التحرير

د. عبدالحليم بسم الله المدني

الهيئة الاستشارية

د. محمد إبراهيم محمد هارون المدني
د. محمد إسحاق محمد إبراهيم
الشيخ عبدالقدوس محمد نذير
صلاح الدين مقبول أحمد المدني
د. عبدالصبور أبو بكر المدني

عنوان المراسلة

صوت الأمة

بي ١ / ١٨ جي، ريوري تالاب، بنارس، الهند

The Editor, Sautul Ummah
B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi – 221010 (India)

ترسل شيكات الاشتراك بهذا الاسم:

دار التأليف والترجمة

Name: DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA
Bank: ALLAHABAD BANK
Kamachha, VARANASI
A/c No.: 21044906358
IFSC Code: ALLA0210547

الاشتراك السنوي

في الهند (٢٥٠) روبية، في الخارج (٧٥) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (٢٥) روبية.

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية: ١– عيد الأضحى: مقاصده التربوية والإيمانية خورشيد عالم جميل أحمد المدني	٣
فضائل ومواسم: ٢– فضل العشر من ذي الحجة د. صالح بن فوزان الفوزان	٧
أيام وأعمال: ٣– يوميات المسلم في العشر من ذي الحجة أحمد عبد المتعال	١٥
مواسم وطاعات: ٤– الوظائف الشرعية في عشر ذي الحجة الشيخ يوسف بن حسن الحمادي	٢٠
عقوبات ورحمات: ٥– مظاهر الرحمة بعد تطبيق عقوبة الزنا د. آمال يس عبد المعطي بنداري	٢٧
التراث الإسلامي: ٦– التراث الإسلامي وتأويله .. مقاصد واتجاهات .. مقومات وتحديات د. وصفي عاشور أبو زيد	٣٢
فضائل القرآن: ٧– يا حامل القرآن د. خالد أبو شادي	٣٧
السنوات الخداعات: ٨– نظام التفاهة وعالم الرويضة! ناصر حمدادوش	٤٣
دعوة وتربية: ٩– إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية د. رمضان أبو علي	٤٨
أخلاق نبوية: ١٠– محطات إيمانية في طريق التربية .. إيمان مغازي الشرقاوي	٥٧
أخبار الجامعة: ١١ – من أخبار الجامعة السلفية	٦٠

الافتتاحية

عيد الأضحى: مقاصده التربوية والإيمانية

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

عيد الأضحى شعيرة ربانية عظيمة، تحمل في طيّاتها مقاصدَ إيمانية وتربوية سامية، وتشتمل على مضامينَ عقدية وسلوكية، تهدف إلى تزكية النفوس، وإحياء معاني العبودية والإخلاص لله رب العالمين، في القلوب والسلوك.

ويأتي عيد الأضحى في سياقٍ إيمانيٍّ مهيب، متزامنًا مع شعائر الحج وشعيرة الأضحية، ليقدّم للأمة دروسًا خالدة في التوحيد والاتباع، والطاعة والانقياد، والإيثار والانضباط، وغيرها من المعاني السامية، التي تروي ظمأ الأرواح، وتغرس في القلوب نور الهداية والتسليم.

فالإسلام دينٌ كاملٌ شامل، يرسم للإنسان منهج حياةٍ متوازنًا، يراعي فيه الجسد والروح، والفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة. ومن أعظم شعائره التي تتجلّى فيها هذه الشمولية والتكامل: شعيرة الأضحية، التي يُقبل عليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في أيامٍ مباركة، تعبّدًا لله، وامتثالًا لأمره، واقتداءً بخليله إبراهيم عليه السلام، ونبينا محمد ﷺ.

فالأضحية ليست مجرّد ذبح لحيوان، بل هي مدرسة إيمانية وتربوية متكاملة، يتخرّج منها المؤمن بمعانٍ رفيعة من الطاعة، والتوحيد، والإخلاص، والبذل، والتضحية، والتجرد من شهوات النفس وأهواء الدنيا، لتتجلّى العبودية لله تعالى في أسمى صورها وأجلّ معانيها.

وأسلط الضوء في السطور الآتية على المقاصد التربوية لعيد الأضحى مستنبطًا دروسه الإيمانية العظيمة، مسترشدًا بنور الوحي، ليكون ذلك زادًا تربويًا يُعين المسلم على

الفهم الصحيح، والتطبيق الراشد.

أولاً: عيد الأضحى وشعيرة الطاعة المطلقة

من أبرز مقاصد عيد الأضحى: ترسيخ مبدأ الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى، كما تجلّت أروع صورها في موقف خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، حين امتثلا لأمر الله بالذبح والاستسلام، دون تردد أو أي اعتراض، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣].

لقد كان هذا المشهد من أسمى مشاهد الإيمان والعبودية؛ تجسّد فيه الخضوع التام لإرادة الله، والثقة المطلقة في حكمته، فكان درسًا خالدًا يعلّمنا أن طاعة الله مقدّمة على كل محبوب، وأن الامتثال لأمره لا يخضع لأهواء أو تأويلات، بل هو تسليمٌ صادق، وانقيادٌ كاملٌ.

ثانيًا: ترسيخ التوحيد الخالص ونبذ مظاهر الشرك

إن الأضحية في حقيقتها شعيرة توحيدية عظيمة، تُجدد في قلب المسلم معاني الإخلاص والولاء لله وحده، والبراءة من الشرك وأهله، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من ذبح لغير الله» (صحيح مسلم: (١٩٧٨).

فالذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله شركًا أكبر يُنافي أصل الدين.

وهذا تنبيه بالغ الأهمية في ظلّ ما انتشر في بعض المجتمعات من مظاهر الشرك، كالتقرّب إلى الأضرحة والقبور بالذبائح والنذور، مما يُخالف صريح التوحيد، ويُفسد العقيدة.

ثالثًا: الإخلاص والتقوى مناط القبول

من أسمى الدروس التربوية في عيد الأضحى: أن القبول عند الله لا يُبنى على الظواهر والأشكال، بل على الإخلاص والتقوى، قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧].

فالله تعالى لا ينظر إلى الصور، وإنما ينظر إلى القلوب والنيات. وهذا يربّي المسلم على مراقبة الله، وتزكية الباطن، وتحري الإخلاص في كل عبادة وعمل. فليس المهم أداء الطقوس، بل أن تُؤدى بنية صادقة وخشية خالصة لله وحده.

رابعًا: الأضحية مظهر من مظاهر الإيثار والتكافل

الأضحية ليست عبادة فردية محضة، بل هي مناسبة عظيمة لتعزيز روح التكافل الاجتماعي والإحساس بالآخرين، قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

وقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل من أضحيته، ويُطعم منها، ويُهدي جزءًا منها؛ لتعمّ بركة العبادة الفقراء والمحتاجين، ويشعر الجميع بفرحة العيد، فيسود الحب، ويزول البغض، وتعلو قيمة التعاون والتراحم في المجتمع المسلم.

خامسًا: الانضباط الزمني في العبادة

من شروط صحة الأضحية أن تكون في وقتها المحدد شرعًا، بعد صلاة العيد، قال صلى الله عليه وسلم: «من ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحمٌ قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء» (رواه البخاري).

وهذا الانضباط الزمني ليس أمرًا شكليًا، بل هو تربية على احترام الوقت، والالتزام بأحكام الشريعة في أدق التفاصيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

فالمسلم يتربّى على الدقة والانضباط، ويعلم أن الطاعة لا تكتمل إلا بالتقيّد بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في الزمان والمكان والصفة.

سادسًا: الإتقان في العبادة من تعظيم الشعائر

دعت الشريعة إلى اختيار أطيب الأنعام للأضحية، وأن تكون سليمة من العيوب، تعظيمًا لشعائر الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» (صحيح مسلم:(١٠١٥).

وهذا يربّي المسلم على الإتقان والإحسان في كل ما يقدّمه لله، وأن يتجنب التهاون أو الإهمال، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصًا، طيبًا، نقيًّا من الرياء والتقصير.

سابعًا: التضحية بالهوى أعظم من إراقة الدماء

الذبح في عيد الأضحى رمز لمعانٍ أعظم من مجرّد سفك دم بهيمة، إنه إعلان واضح لتقديم طاعة الله على هوى النفس، وتجريد القلب من التعلقات الدنيوية، كما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام، حين قدّم محبة الله على محبة الولد.

فما أحوجنا أن نفهم الأضحية على أنها ذبح للمعاصي، وتخلٍّ عن الذنوب والعادات السيئة، وتضحية بالرغبات المحرّمة، وبكل ما يبعدنا عن الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالجهاد الحقيقي هو جهاد النفس، والانتصار على الشهوات، وهو الجسر الموصِل إلى رضا الله وهدايته.

ختامًا:

يتبيّن لنا أنّ عيد الأضحى ليس مجرد موسم فرح ومظاهر اجتماعية، بل هو محطة تربوية إيمانية، تتجدّد فيها معاني العبودية، وتُستنهض فيها القلوب إلى الطاعة، ويُجدد فيها العهد مع الله بالإخلاص والاتباع.

فلنغتنم هذه الأيام المباركة لمراجعة نفوسنا، وتزكية قلوبنا، وإحياء هذه القيم الربانية في بيوتنا ومجتمعاتنا؛ ليكون عيدنا عيد طاعة لا معصية، وعيد إخلاص لا رياء، وعيد قربٍ من الله لا بُعدًا عنه.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، وأن يُعيد علينا هذه المواسم باليُمن والإيمان، والسلامة والإسلام.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

فضائل ومواسم

فضل العشر من ذي الحجة

د. صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده، ورسوله نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإننا على أبواب أيام مباركة، هي أيام عشر ذي الحجة التي فضلها الله سبحانه وتعالى، وأودع فيها من الخيرات الشيء الكثير لعباده، ولا شك أن حياة المسلم كلها خير إذا اغتنمها في عباده الله والعمل الصالح، وكلها خير من حين يبلغ سن الرشد إلى أن يتوفاه الله، إذا وفقه الله لاغتنام أيام حياته في الأعمال الصالحة التي يعمر بها آخرته، فمن حفظ دنياه بطاعة الله حفظ الله له آخرته، ووجد ما قدمه مدخرا عند الله عز وجل ومضاعفا، ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، فكل حياة المسلم خير. ولكن من فضل الله عز وجل أن جعل أوقاتًا فضلها على غيرها من الأيام، ليزداد فيها المسلم أعمالا صالحة، ويحصل على أجور مضاعفة، فهناك شهر رمضان المبارك، وما فيه من الخيرات، والأعمال الصالحة والمضاعفة للأجور، وفي شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر، وهي ليلة القدر.

وهناك هذه العشر، عشر ذي الحجة التي أقسم الله جل وعلا في محكم التنزيل، وقال سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، هذه الليالي العشر هي عشر ذي الحجة على المشهور عند أهل العلم، والله أقسم بها لشرفها وفضلها، لأنه سبحانه وتعالى يقسم بما يشاء من خلقه، ولا يقسم إلا بشيء له شأن، يلفت العباد إليه، وهو أقسم بهذه لشرفها

وفضلها، لأجل أن يتنبه العباد لها، وقيل أنها هي العشر التي أيضا أكملها الله لموسى عليه السلام: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، قالوا والله أعلم بهذه العشر هي عشر ذي الحجة، وقال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ [الحج: ٢٨]، الأيام المعلومات، وأما الأيام المعدودات المذكورة في قوله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات فهي أيام التشريق، في أيام معلومات، يذكروا اسم الله في أيام معلومات، وسيأتي ما يقال من الذكر في هذه الأيام.

ومن فضائل هذه العشر أنها تشتمل على يوم عرفة، اليوم التاسع منها، الذي قال ﷺ فيه، في صيامه: أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية، والسنة المستقبلة. وفيه أداء الركن الأعظم من أركان الحج، وهو الوقوف بعرفة، هذا اليوم العظيم الذي يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في صعيد واحد، هو صعيد عرفة، ليؤدوا الركن الأعظم من أركان حجهم في هذا اليوم، والذي أخبر النبي ﷺ أن الله ينزل في عشيته إلى سماء الدنيا فيباهي الملائكة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا أتوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم. وفي اليوم العاشر من هذه العشر يوم الحج الأكبر، وهو يوم عيد النحر الذي يؤدي المسلمون فيه مناسك الحج من طواف وسعي وذبح للهدي وحلق أو تقصير، هذه المناسك الأربعة يبدأ أداؤها في هذا اليوم، ولذلك سمى الله هذا اليوم يوم الحج الأكبر، لأنه تؤدى فيه معظم مناسك الحج، وهناك الحج الأصغر وهو العمرة، فهذا اليوم اختصه الله سبحانه وتعالى بهذا الفضل، فالحجاج يؤدون فيه المناسك، وغير الحجاج يصلون صلاة العيد.

فيه الأضاحي، يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه العشر المباركة تشتمل على هذه الفضائل، قد قال النبي ﷺ، الحديث الذي رواه البخاري وغيره،

قال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من الأيام العشر- يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء». فهذه الأيام العشر يكون العمل فيها أحب إلى الله من العمل في غيرها، حتى الجهاد في سبيل الله، الذي هو أفضل الأعمال، العمل في هذه العشر خير من الجهاد في سبيل الله، إلا من استثناه النبي ﷺ وهو الذي خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء.

فهذه الأيام لها فضائل عظيمة، ويشرع فيها أعمال كثيرة.

صيام هذه الأيام ويستحب صيامها تسعة أيام لغير الحجاج، وأما الحجاج فلا يصومون اليوم التاسع، لأجل أن يتقووا على الوقوف بعرفة، وأما غير الحجاج فصيام هذا اليوم في حقهم يكفر الله به السنة الماضية والسنة الآتية، وهذا فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى، وفي حديث حفصة: أن رسول الله ﷺ كان يصوم هذه العشرة. رواه أبو داود وغيره بسند لا بأس به، وأما ما قالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي ﷺ لم يصم هذه العشر، هذا نفي، وحفصة إثبات، حديثها فيها إثبات والمثبت مقدم على النافي، فحفصة أثبتت أن رسول الله يصوم، وعائشة نفت وهذا في حدود علمها رضي الله عنها، فتكون حفصة رضي الله عنها علمت شيئا لم تعلمه عائشة رضي الله عنها.

ومن الأعمال التي تؤدي في هذه الأيام العشر التكبير، ويبدأ من أول دخول الشهر، حينما يثبت دخول الشهر يبدأ التكبير في أيام هذه العشر ولياليها، ويكثر المسلم من التكبير فيقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، ولله الحمد، يكرر هذا ويرفع به صوته، كان الصحابة يرفعون أصواتهم بالتكبير في هذه الأيام العشر، وهذا ما اختصت به هذه الأيام العشر، ويسمى هذا بالتكبير المطلق بالليل والنهار.

وكذلك يشرع في هذه العشر الإكثار من الطاعات من صدقات على المحتاجين،

وصدقات في سبيل الله، وكذلك من صلوات النوافل في غير أوقات النهي، ولا سيما صلاة الليل، وكذلك لا يفتر المسلم عن ذكر الله فيها بتلاوة القرآن والتسبيح والتهليل، فيشغل هذا الوقت بالطاعات القولية، والطاعات الفعلية، يغتنمها ويكتسب ما فيها من خير فلا تضيع عليه، يكون فيها صائما في النهار، وقائما في الليل، وتاليًا للقرآن، مكبرًا ومهللًا ومسبحًا، فيشغل لسانه بذكر الله، ويشغل بدنه بالصيام والقيام، وهذا خير كثير في هذه الأيام العشر التي العمل الصالح فيها أحب إلى الله من العمل في غيرها، وإن كان العمل الصالح محبوبا عند الله جل وعلا في سائر الأوقات، ولكن الله يفضل مخلوقاته على بعض، ففضل هذه العشر على غيرها من أيام الزمان، وكذلك مما يشرع في هذه العشر أن من أراد أن يضحي عن نفسه، أو عن نفسه وغيره، فإنه إذا دخل في العشر لا يأخذ من شعره، ولا من أظفاره شيئا حتى يذبح أضحيته، لأن النبي ﷺ أمر بذلك في الحديث الصحيح.

يشرع في يوم النحر ذبح الهدي أو الأضاحي، والهدي سواء كان هديا واجبا للنسك كهدي التمتع والقران، أو كان هديا مستحبا يهديه المسلم إلى بيت الله العتيق، تقربا إلى الله سبحانه وتعالى، فأول ما يبدأ، أول يوم يبدأ فيه الذبح يوم العيد، هذا بالنسبة للحجاج، وأما بالنسبة لغير الحجاج فيذبحون الأضاحي، تقربا إلى الله سبحانه وتعالى، وسنة نبوية سنها أبونا إبراهيم عليه السلام وأحياها نبينا محمد ﷺ، والأضحية قربان عظيم يتقرب بها المسلم إلى الله ويرى بعض العلماء وجوبها، الإمام أبو حنيفة رحمه الله يرى أن ذبح الأضحية واجب على الموسر، وأما جمهور أهل العلم فيرون أنه سنة مؤكدة، وليس بواجب، وعلى كل حال فذبح الأضاحي والهدي في هذا اليوم وما بعده يدل على فضل هذا اليوم، قالوا: وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، صل صلاة العيد، وانحر هديك، وانحر أضحيتك في هذا اليوم، فهذا اليوم كما أسلفنا تؤدى فيه مناسك الحج، طواف

الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرة، جمرة العقبة، وذبح الهدي بالنسبة للحجاج وبالنسبة لغير الحجاج ذبح الأضاحي، ومن فضل الله سبحانه أنه مدد أيام الذبح إلى ثلاثة أيام بعد العيد، فأيام الذبح أربعة أيام، يوم العيد وثلاثة أيام بعده، قال ﷺ: أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل، فهذه عشر مباركة، تقدم على المسلمين بخيراتها وبركاتها من الله، على المسلمين من الحجاج، وغير حجاج، وفيها هذه الأعمال الجليلة، وبالنسبة للهدي والأضاحي فلها أحكام ذكرها أهل العلم من ناحية السن، ومن ناحية السلامة من العيوب، ففي الأضاحي والهدي لا يجزي إلا ما بلغ السن المحددة شرعًا، فالضأن يجزء فيه بان ستة أشهر، والماعز ما تم له سنة، والبقر ما تم له سنتان، والإبل ما تم له خمس سنين، هذا من حيث السن في الأضاحي وفي الهدي، وكذلك في العقيقة أيضًا لا بد أن العقيقة ينطبق عليها ما ينطبق على الهدي والأضحية، كذلك السلامة من العيوب، من العور والعرج والمرض والهزال ونقص الخلقة بقطع أو بتر أو غير ذلك، فتكون سليمة من العيوب التي تنقصها من غيرها، وأما ما يفعل بلحم الهدي، لحم الأضاحي: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]، ويستحب أن يقسمها ثلاثة أقسام، ثلاثة أثلاث، ثلث يأكله هو أهل بيته، وثلث يتصدق به على المحتاجين، وثلث يهديه لأصدقائه وجيرانه، مع العلم بأنه لا يجوز أن يبيع منها شيئا، لا يجوز أن يبيع منها شيئا حتى الجلد لا يبيعه، وكذلك لا يعطي الجزار أجرته من لحم الهدي والأضاحي، بل يتركها لما شرع الله سبحانه وتعالى من الأكل منها، والتصدق والإهداء، وهذه شعائر قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ومنها الهدي والأضاحي، بأن يقدم لها من أنفس ما يجده، ومن أطيب ما يجده، لأنها شعيرة وتقرب إلى الله ،قال الله جل وعلا: ﴿لَن

يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، المدار على النيات، ولكن مع هذا فلا يقدم شيئا مستنقصا، أو قليل النفع، ولا يقدم شيئا من كسب حرام، قال ﷺ: إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا. إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا. ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، الخبيث: هو الردي، المراد هنا الردي، لا تتصدق من كسب حرام، بل تصدق من كسب طيب، لأن الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، والطيبات لله سبحانه وتعالى.

الحاصل: أن هذه العشر المباركة لها شأن عظيم، فينبغي للمسلم أن يستقبلها بالبشر والفرح والسرور بمقدمها، وأن يستغلها فيما شرع الله فيها، حتى تكون كسبا له عند الله سبحانه وتعالى، يجده يوم يقدم على الله سبحانه وتعالى، وكما ذكرنا أن كل حياة المسلم فيها خير إذا استغلها في طاعة الله، ولكن تخصص الأيام والأوقات التي فضلها الله سبحانه وتعالى بمزيد اهتمام، ومزيد اجتهاد، ولكن مع الأسف أن كثيرًا من الناس تمر عليهم أعمارهم، وتمر عليهم الأيام الفاضلة، والأوقات الشريفة، ولا يستفيدون منها، تذهب عليهم سدى، وقد لا يكفي أنهم لا يستفيدون منها، بل يستغلونها في الحرام والمعاصي والسيئات، خصوصا في هذا الزمان الذي فشت فيه الشواغل والملهيات من وسائل الإعلام، والبث الفضائي، والانترنت، والأسواق، والعمل في التجارة، أو العمل في الوظائف، أو غير ذلك، وهذا وإن كان أنه مطلوب من المسلم أنه يطلب الرزق، ولكن لا يشغله ذلك عن اغتنام هذه المواسم، فيجمع بين طلب الرزق وبين اغتنام هذه المواسم، والله جل وعلا لم يمنعنا من العمل للدنيا ما نحتاج إليه، ولكنه نهانا أن نشتغل بالدنيا عن الآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، قال سبحانه: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ابتغوا عند الله الرزق واعبدوه، فلا تنساق مع طلب الرزق وتترك العبادة، أو تنساق مع العبادة وتترك طلب الرزق فتكون عالة على غيرك، بل اجمع بين هذا، وهذا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠]، ولما ذكر المساجد وعمارة المساجد قال:﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور:٣٦ - ٣٧]، فالمسلم يجمع بين الأمرين بين طلب الرزق في وقته، وأداء العبادة في وقتها، في حين أن العبادة تعين على طلب طلب الرزق ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، فالمسلم لا يضيع دينه، كذلك لا يضيع دنياه، وإنما يجمع بين مصالح دينه ودنياه، هذه هو المسلم، فكيف إذا ضيع وقته في اللهو واللعب، وتتبع المسلسلات، التمثيلات، والفضائيات، والأغاني، والنوادي الرياضية، والمباريات، يضيع وقته في هذه الأمور، والعجب أنه لا يمل، لا يمل من السهر، لا يمل من التعب مع هذه الأمور التي هي في مضرته، لا يتعب، بينما يتعب من الطاعة والعبادة، إلا من رحم الله سبحانه وتعالى.

الحاصل: أن المسلم يتنبه لنفسه ويتنبه لأوقات الفضائل، قبل أن يقول: ﴿يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾

[الزمر: ٥٦]، قبل أن يواجه ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن أصحاب النار، إذا ألقوا فيها، قالوا ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل، قال الله جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، فمن ضيع أوقاته وحياته فهذا مصيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلتتنبه لأنفسنا، وننبه غيرنا ولنحفظ وقتنا ولنغتنم أوقات الفضائل قبل فواتها، فإن ذلك هو رأس المال الذي تخرج به من هذه الدنيا.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت يوم العرض من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله
وإنك لم ترصد كما كان أرصدا

لا بد من هذا المصير إذا لم تقدم لآخرتك فلا بد أن تندم في حين لا ينفع الندم، فعلينا أن نتنبه وننبه إخواننا، ونعظم هذه الأيام بطاعة الله سبحانه وتعالى، ونصونها عن الضياع، ونصونها على أن نشغلها بشيء بضرنا ونأثم به.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل النافع، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

***

أيام وأعمال

يوميات المسلم في العشر من ذي الحجة

أحمد عبد المتعال

أحبتي في الله، لقد خص الله تعالى بعض الشهور والأيام والليالي بمزايا وفضائل يعظم فيها الأجر؛ ليكون ذلك عونًا لسد الخلل واستدراك النقص وتعويض ما فات، منها هذه العشر الأول من ذي الحجة، والسعيد من اغتنمها وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من طاعات، فلله الحمد والمنة.

فضل العشر من ذي الحجة:

١. **للآيات والأحاديث الواردة عنها:** فلقد أقسم الله تعالى بهذه الأيام لشرفهن عن سائر الأيام فقال تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، والمراد بها عشر ذي الحجة، قاله ابن كثير في تفسيره، وقال النبي ﷺ في فضلها: ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام" يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» (أخرجه أبو داود وصححه الألباني).

٢. **فيها يوم عرفة:** الذي قال فيه النبي ﷺ: «صيام يوم عرف، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ،والسنة التي بعده» (أخرجه مسلم)، وهذا إنما يستحب لغير الحاج، أما الحاج فلا يسن له صيام يوم عرفة؛ فعن ميمونة رضي الله عنها: أن الناس شكوا في صيام النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فأرسلت إليه بحلاب، وهو واقف في الموقف، فشرب منه والناس ينظرون. (أخرجه البخاري).

٣. **فيها يوم النحر:** فبعض العلماء يرى أنه أفضل أيام السنة على الإطلاق

حتى من يوم عرفة، قال ابن القيم رحمه الله خير الأيام عند الله يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر كما في سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: «إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر» ويوم القر هو اليوم الحادي عشر، وفيها يؤدي الحجاج فريضة الحج.

وهذه الأدلة وغيرها تدل على أن هذه العشر أفضل من سائر أيام السنة من غير استثناء شيء منها، حتى العشر الأواخر من رمضان أفضل لاشتمالها على ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وبهذا يجتمع شمل الأدلة (تفسير ابن كثير)، وقال ابن حجر في الفتح: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يأتي ذلك في غيره.

كيف نستقبل العشر من ذي الحجة:

١. **بالتوبة إلى الله تعالى**: والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب، وللتوبة في الأزمنة الفاضلة شأن عظيم؛ لأن الغالب إقبال النفوس على الطاعات ورغبتها في الخير فيحصل الاعتراف بالذنب والندم على ما مضى، وإلا فالتوبة واجبة في جميع الأزمان، فإذا اجتمع للمسلم توبة نصوح مع أعمال فاضلة في أزمنة فاضلة فهذا عنوان الفلاح إن شاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧] .

٢. **بالعزم الصادق على اغتنامها:**

بما يرضي الله عز وجل فمن صدق الله صدقه الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٣. **بدعاء الله بأن يبلغنا إياها:**

٤. وبالتوفيق والسداد في هذه الأيام، فلقد كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (رواه مسلم)، والله تعالى إذا رآك تقف على بابه تسأله من رحمته وهو الكريم سبحانه لا يرد من سأله، فقد تكفل الله لك أن يعطيك سؤلك أو يرفع عنك من السوء مثلما سألت، أو يدخرها لك بالآخرة في

منزلة قد لا تبلغها بكثرة صلاة ولا صيام، فلا بأس أن يدعو المسلم ربه ويسأله بأن لا يكون شقيا، ويسأله التوفيق والتسديد والتأييد، ونحو ذلك من مسائل الخير المباركة.

يوميات المسلم في العشر من ذي الحجة:

من الأعمال الفاضلة التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها في العشر من ذي الحجة ما يلي:

١. **الصلاة**: يستحب التبكير إلى الفرائض، والإكثار من النوافل، فإنها من أفضل القربات، وروى ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلى رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة» (أخرجه مسلم) وهذا عام في كل وقت.

٢. **الصيام**: فيسن للمسلم أن يصوم تسع أيام من العشر الأول من ذي الحجة؛ لأن النبي ﷺ حث على العمل الصالح في أيام العشر، والصيام من أفضل الأعمال، وقد اصطفاه الله تعالى لنفسه كما في الحديث القدسي: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به» (أخرجه البخاري).

وقد كان النبي ﷺ يصوم تسعا من ذي الحجة، فعن بعض أزواج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يصوم تسعا من ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، أول اثنين من الشهر وخميسين (أخرجه النسائي وصححه الألباني).

٣. **التكبير**: فيسن التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح أيام العشر والجهر بذلك في المساجد والمنازل والطرقات وكل موضع يجوز فيه ذكر الله إظهارًا للعبادة، وإعلانًا بتعظيم الله تعالى، ويجهر به الرجال وتخفيه المرأة، قال الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨]، قال ابن عباس «الأيام المعلومات أيام العشر» والأثر رواه البخاري تعليقا عن ابن عباس رضي الله عنهما، والتكبير ورد فيه صيغ مروية عن الصحابة والتابعين منها:

- الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا.
- الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.
- الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

والتكبير في هذا الزمان صار من السنن المهجورة ولا سيما في أول العشر فلا تكاد تسمعه إلا من القليل، فينبغي الجهر به إحياء للسنة وتذكيرًا للغافلين، وقد ثبت أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كان يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، والمراد أن الناس يتذكرون التكبير فيكبر كل واحد بمفرده وليس المراد التكبير الجماعي بصوت واحد فإن هذا غير مشروع.

وإحياء ما اندثر من السنن أو كاد فيه ثواب عظيم دل عليه قول النبي ﷺ: «من أحيا سنة من سنتي، فعمل بها الناس، كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيئا» (أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني).

٤. **صيام يوم عرفة**: يتأكد صوم يوم عرفة لقول النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده» (أخرجه مسلم)، لكن من كان في عرفة حاجًا فإنه يفطر للدليل السابق ذكره في فضل العشر الأول من ذي الحجة.

٥. **أداء الحج والعمرة**: إن من أفضل ما يعمل في هذه العشر حج بيت الله الحرام، فمن وفقه الله تعالى لحج بيته وقام بأداء نسكه على الوجه المطلوب ليس له جزاء إلا الجنة؛ لقول النبي ﷺ: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري).

٦. **أعمال البر والخير**: فمن لم يحج فعليه أن يعمر هذه العشر بطاعة الله تعالى من الصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، والصدقة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعطف على المساكين والأيتام، ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم وغير ذلك من طرق الخير.

٧. **الأضحية**: ذبح الأضحية في يوم

النحر بعد صلاة العيد وهو يوم العشر من ذي الحجة، لقول النبي ﷺ: «ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم وإنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فيطيبوا بها نفسا» (أخرجه الترمذي وصححه الألباني)، ويجوز الذبح كذلك في أيام التشريق وهي الحادي والثاني والثالث عشر حتى مغيب الشمس، ومن السنة ألا يأخذ من أراد أن يضحي من شعره أو من أظفاره أو من بشرته شيء في العشر من ذي الحجة حتى يذبح أضحيته.

***

مواسم وطاعات

الوظائف الشرعية في عشر ذي الحجة

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

يخبر جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن تفرده بالخلق ،وانفراده باختيار ما يختاره من خلقه، وتخصيصه بمزيد فضل وعناية، فله جل وعلا الحكمة البالغة فيما يختاره من الأشخاص، ويصطفيه من الأماكن، ويجتبيه من الأزمان، وليس لأحد من خلقه شيء من ذلك الاختيار(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «فكما أنه المنفرد بالخلق، فهو المنفرد بالاختيار منه، فليس لأحد أن يخلق ولا أن يختار سواه، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، ومحال رضاه، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه»(٢).

ومن لطف الله جل وعلا بعباده المؤمنين وإحسانه إليهم أن هيّأ لهم أزمنة واختار لهم أوقاتًا يتعرضون فيها لنفحات رحمته؛ ليزدادوا منه قربًا وعنده رفعة، وقد نبّه ﷺ أمته على ذلك بقوله: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمّن روعاتكم»(٣).

ومن تلك الأوقات الفاضلة، والأيام

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٦٢٢)، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ٣٩).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٣٩).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٢٠)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٩٠).

المباركة التي حث النبي ﷺ على اغتنامها، وملئها بصالح الأعمال: أيام عشر من ذي الحجة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»(١).

ففي هذا الحديث ينبه ﷺ أمته ويرشدها إلى منزلة العمل الصالح في أيام العشر من ذي الحجة، ويبين أن العمل فيها أفضل من العمل في غيرها من أيام الدنيا، وليس هذا فحسب، بل إن العمل فيها أحب إلى الله تعالى فيما سواها من الأيام، يدل لذلك اللفظ الآخر وهو قوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام». يعني أيام العشر(٢).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها، صار العمل فيه وإن كان مفضولًا أفضل من العمل في غيره وإن كان فاضلًا»(٣).

حتى وإن كان ذلك العمل الجهاد في سبيل الله، ولهذا لما راجع الصحابة النبي ﷺ وقالوا له: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»(٤)، فاستثنى بعد جوابه عن سؤالهم صورة واحدة من صور الجهاد في سبيل الله وهي: ذهاب النفس والمال، وبين أنها تفضل على العمل في أيام العشر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «واستيعاب عشر ذي الحجة بالعبادة ليلًا ونهارًا أفضل من جهاد لم تذهب فيه نفسه وماله...»(٥).

فدل هذا كله على فضل هذه الأيام العشر، وعلى الحث على الاجتهاد في الأعمال الصالحة فيها بشتى أنواعها؛ لذا

(١) رواه البخاري (٩٦٩).
(٢) رواه أبو داود (٢٤٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٤٨).
(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٤٥٨).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) اختيارات ابن تيمية الفقهية للبعلي (ص: ٦٢).

فقد حرص السلف الصالح أشد الحرص على الظفر بفضل هذه الأيام، وذلك باغتنامها، والإقبال على القيام بحقها وأداء المطلوب فيها، من ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه «إذا دخل العشر اجتهد اجتهادًا شديدًا حتى ما يكاد يقدر عليه»(١)، وكان يقول: «لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر» - تعجبه العبادة - ويقول: «أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة»(٢).

وقال ليث بن أبي سليم: «كان مجاهد يصوم العشر»(٣)، وكان عطاء بن أبي رباح يتكلف صيامها(٤).

وقال عبد الله بن عون: «وكان محمد يصوم العشر - عشر ضي الحجة - كله»(٥).

إلى غير ذلك من الآثار الواردة عن السلف الصالح والتي تدل على تعظيمهم ما كان يعظمه رسول الله ﷺ، ويجتهدون في الاقتداء به ﷺ، وهذا هو التأسي به حقا وصدقا ﷺ، أن يفعل كما فعل على الوجه الذي فعل.

ومما يبرز شأن هذه الأيام ويظهر فضلها:

١. إقسام الله تعالى بها في قوله عز وجل: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، والمراد بها: ليالي عشر ذي الحجة، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «هذا الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم، وهو الصحيح عن ابن عباس، روي عنه من غير وجه»(٦).

قال أبو الضحى: سئل مسروق عن ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ فقال: «هي أفضل أيام السنة»(٧).

وهذا يدل على فضيلة ليالي عشر ذي الحجة، والليالي إذا أطلقت دخلت فيها

(١) رواه الدارمي (١٨١٥)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٩٨).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٨١).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٣٠٦).
(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٣٠٦).
(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٣٠٥).
(٦) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٤٧٠).
(٧) رواه عبد الرزاق في المصنف (٨١٢٠).

الأيام تبعًا(١).

٢. أن أيام عشر ذي الحجة هي الأيام المعلومات التي شرع الله فيها الذكر لعباده في قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨] «وجمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة»(٢).

٣. أن أيام عشر ذي الحجة هي خاتمة الأشهر المعلومات، وهي أشهر الحج التي قال الله فيها: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهي: شوال، وذو القعدة وعشر من ذي الحجة(٣).

٤. إخباره ﷺ بأن أيام عشر ذي الحجة هي أفضل أيام الدنيا.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر». يعني: عشر ذي الحجة(٤).

وهذا «يدل على أن عشر ذي الحجة أفضل من غيره من الأيام من غير استثناء»(٥).

٥. الإخبار بأن القيام بالأعمال الصالحة فيها أحب إلى الله تعالى من سائر الأيام، وقد تقدم تفصيل هذا، ويضاف إلى ما تقدم قوله ﷺ: «ما من عمل أزكى عند الله عز وجل ولا أعظم أجرًا من خير يعمله في عشر الأضحى»(٦).

٦. اشتمال هذه الأيام على يوم عرفة، وهو من أعياد المسلمين.

٧. اشتمال هذه الأيام على يوم النحر وهو أفضل الأيام وأعظمها عند الله، فعن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ قال: «إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى: يوم النحر، ثم يوم القر»(٧).

٨. أن في هذه الأيام العشر تجتمع

---

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (٤٦٨).
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (٤٧١).
(٣) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (٤٧١).
(٤) رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (١١٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٠).
(٥) لطائف المعارف لابن رجب (٤٦٨).
(٦) رواه الدارمي (١٨١٥)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٩٨): وإسناده حسن.
(٧) رواه أبو داود (١٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٦٤).

أمهات العبادات؛ من الصلاة والصيام والصدقة والحج والذبح وغيره، وهذا لا يكاد يتأتى أو يجتمع في غير هذه الأيام(١).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق عدة فوائد:

١. عناية النبي ﷺ بالمواسم والأزمنة التي يحب الله تعالى فيها من عباده الاجتهاد في الأعمال الصالحة، وتنبيهه الأمة على ذلك.

٢. أن هذا الفضل الوارد في الحديث خاص بهذه الأيام العشر دون غيرها من أيام الشهر؛ لما تقدم من ألفاظ الأحاديث الصريحة المبينة لهذا، ومنها: قوله ﷺ: «من من عمل أزكى عند الله عز وجل ولا أعظم أجرًا من خير يعمله في عشر الأضحى»(٢).

٣. أنه لا يصار إلى تخصيص شيء من الأعمال الصالحة بيوم من الأيام أو ليلة أو شهر من الشهور إلا بدليل صحيح صريح عن نبينا ﷺ؛ وذلك أن التخصيص تشريع، والتشريع لا يصار إليه إلا بدليل.

ويقال في توضيح هذه القاعدة: أنه لولا دلالة النبي ﷺ أمته وإرشاده إلى تخصيص عشر ذي الحجة بمزيد طاعة وكثرة عبادة لما جاز أن تخص هذه الأيام دون غيرها بذلك.

٤. أن العمل الصالح المرغب فيه في هذه الأيام شامل لكل أنواعه، وكافة أفراده، بل وعلى مضاعفة جميع الأعمال الصالحة بلا استثناء شيء منها(٣).

ويزاد على ذلك ما جاءت النصوص باختصاصه بهذه الأيام العشر فيبذل ما يقدر عليه من الاجتهاد في القيام بالأعمال الصالحة التي خصت بها هذه الأيام دون غيرها؛ كالإكثار من التكبير والتهليل والتحميد على حسب ما ورد، إطلاقًا في كل الأوقات وعلى جميع الأحوال، وتقييدًا من فجر يوم عرفة عقب الصلوات الخمس - لغير الحاج - إلى عصر آخر

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٦٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٤٦٠).

يوم من أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ، مع رفع الصوت والجهر بالتكبير – حسب الاستطاعة-؛ فإن هذا من تعظيم شعائر الله.

هذا الذي عليه جمهور السلف والفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة(١).

وكالاجتهاد في صيام ما أمكن من هذه الأيام، وعلى وجه الخصوص يوم التاسع منها الذي هو يوم عرفة – لغير الحاج -، فقد قال ﷺ: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده»(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: «ليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هو مستحب استحبابًا شديدًا، لا سيما التاسع منها وهو يوم عرفة»(٣).

ومما ينبغي على من وفقه الله للطاعة أن يحرص عليه ما خصت به هذه الأيام من ذبح الأضاحي فإنها من شعائر الإسلام الظاهرة، «وهي النسك العام في جميع الأمصار»(٤).

ونبينا ﷺ لم يكن يدع الأضحية، لذا فإنه يلزم من عزم على الأضحية التفقه فيها، وتعلم أحكامها قبل التقرب إلى الله بذبحها.

كما أن على من وفقه الله للإقبال على عبادته في هذه الأيام المباركة أن يسعى إلى صلاة العيد فيواظب عليها، ويتفقه في أحكام هذا اليوم المبارك من أيام الله – وهو يوم العيد – حتى يأتي بالمطلوب منه على علم وبصيرة.

فبهذه المثابرة على الخير والملازمة لما يحبه الله ويرضاه، والاشتغال بما يقرب إليه جل وعلا تغفر الذنوب، ويعفى عن الزلات، ويتجاوز عن السيئات، وينال الفلاح في الدنيا والآخرة.

٥. حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم، وعلى التفقه في المواسم الشرعية ومعرفة أحكامها، وهذا ظاهر من

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ٢٢٠).
(٢) رواه مسلم (١١٦٢).
(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ٣٢٨).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/ ١٦٢).

خلال مراجعتهم النبي ﷺ وسؤالهم إياه.

٦. وجوب مراعاة الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ في العمل؛ لقوله - كما في اللفظ الآخر-: «ما من أيام العمل الصالح فيها» (١)، إذ لا يوصف العمل الصالح إلا بتوفر هذين الشرطين وهما: إرادة وجه الله والدار الآخرة بالأعمال الصالحة، ولزوم الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في العمل المحبوب لله، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩].

وبعدم تحقق هذين الشرطين في العمل فإنه لا يرفع، ولا يقبل العمل عند الله ولا يصعد إليه إلا باتصافه بالصلاح، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وختامًا: فلا ينبغي أن تمر علينا هذه الأيام دون اغتنام لها، وحرص على أوقاتها، واجتهاد في ساعاتها، والناصح لنفسه يدرك قدر هذه الفرص فيسعى في تحقيق مراد الله تعالى فيها عملًا بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فالغنيمة «الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، والمبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة ليعمل صالحًا فلا يجاب إلى ما سأل، قبل أن يصير المرء مرتهنا في حفرته بما قدّم من عمل»(٢)، والله المستعان.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

***

(١) سبق تخريجه.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٤٧٧) باختصار.

عقوبات ورحمات

مظاهر الرحمة بعد تطبيق عقوبة الزنا

د. آمال يس عبد المعطي بنداري

مظاهر الرحمة بعد تطبيق عقوبة الزنا:

من مظاهر الرحمة في الشريعة الإسلامية بعد تطبيق العقوبة ما يأتي:

١. لا يجوز(١) الدعاء على من أقيم عليه الحد لما في ذلك إعانة الشيطان عليه، والدليل على ذلك في غير الزنا ما روي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أن رجلا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه، فو الله ما علمت(٢) إنه يحب الله ورسوله(٣)، وفي رواية عن أبي هريرة قال: أتي النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال الرجل: ما له أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم(٤).

فقد دل الحديثان على المنع من الدعاء على من أقيم عليه الحد مطلقا، لأن الحد قد كفر الذنب المذكور.

قال الشوكاني: وهكذا ينبغي أن

(١) نيل الأوطار: ٧/ ١٦٠.

(٢) ما علمت أنه يحب الله ورسوله: أي فو الله لقد علمت، وقيل معناها فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله. فتح الباري: ١٢/ ٧٩.

(٣) أخرجه البخاري (فتح الباري) ١٢/ ٧٩.

(٤) أخرجه البخاري (فتح الباري) المصدر السابق.

يكون الأمر في سائر المحدودين(١).

٢. لا يجوز تعنيف أو سب من أقيم عليه الحد للأدلة الآتية:

(أ) عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: قال النبي ﷺ: إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب، ثم إذا زنت فليجلدها ولا يثرب، ثم إذا زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر(٢).

فقد دل الحديث على أن كل من أقيم عليه الحد لا يعزر بالتعنيف واللوم لئلا تجتمع عليه عقوبتان الجلد والتعيير.

(ب) ما ورد في حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه في شأن الغامدية: «فيقبل خالد بن الوليد بحجر فيرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: مهلا يا خالد، فو الذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» (٣).

فقد نهى النبي ﷺ عن سب من أقيم عليه الحد، لأن سب المسلم بعد الموت لا يجوز.

(ج) أخبرني أبو الزبير عن عبد الرحمن بن الصامت عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: جاء الأسلمي نبي الله ﷺ فشهد على نفسه أنه أصاب حرة حراما، أربع مرات، كل ذلك يعرض عنه، فأقبل في الخامسة، قال: (أنكتها؟). قال نعم: قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها كما يغيب المرود في المكحلة، والرشاء في البئر؟ قال: نعم. قال: هل تدري ما الزنا؟ قال: نعم: أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا، قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني، قال: فأمر به فرجم، فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب. فسكت النبي ﷺ

(١) نيل الأوطار: ٧/ ١٦٠.
(٢) أخرجه البخاري (فتح الباري) ١٢/ ١٧١.
(٣) أخرجه مسلم (النووي) ١١/ ٢٠٢- ٢٠٣.

عنهما، حتى مر بجيفة حمار شائل(١) برجله، فقال: أين فلان وفلان، فقالا: نحن ذا يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله غفر الله لك، من يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل الميتة، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة يتغمس فيها»(٢).

فقد بين الرسول الكريم أن اغتياب المسلم الذي مات ولا يرجى عفوه أشد من أكل الميتة، وهذا يدل على أن الغيبة حرام(٣).

٣. ومن محاسن الشريعة الإسلامية أن الزاني بعد الرجم يغسل ويكفن ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين كغيره من المسلمين باتفاق الفقهاء(٤)، والدليل على ذلك:

أ- ما روي عن عمران بن حصين «أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا نبي الله:أصبت حدا فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليها، فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى»(٥).

وفي رواية أخرى قال ﷺ: في شأن الغامدية: «فو الذي نفسي بيده لقد

(١) شائل: رافع رجله من شدة الانتفاخ. هامش مصنف عبد الرزاق ٧/ ٢٥٥؛ بذل المجهود في حل أبي داود ١٧/ ٣٨٦.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بلفظه في مصنفه، باب الرجم والإحصان ٧/ ٢٥٥، وأخرجه أبو داود، باب الرجم ١٧/ ٣٨٥- ٣٨٧؛ وأخرجه الدار قطني، كتاب الحدود والديات وغيره؛ حديث رقم (٣٤٠٦) والحديث إسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن ابن الصامت مقبول، والأرجح أنه مجهول. سنن الدار قطني ٣/ ١٣٧.

(٣) بتصرف، بذل المجهود ٧/ ٣٨٧.

(٤) شرح فتح القدير ٥/ ٢٢٨؛ تبيين الحقائق ٣/ ١٦٨؛ المدونة الكبرى ٦/ ٢٥١؛ مغني المحتاج ٤/ ١٥٥؛ الحاوي ١٣/ ٢٠١، المغني ٨/ ١٦٨، كشاف القناع ٦/ ٩١.

(٥) أخرجه مسلم (النووي) كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا ١١/ ٢٠٤، ٢٠٥.

تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت»(١).

فقد دل الحديثان على أن الزاني بعد الرجم يصلى عليه ويدفن كغيره من المسلمين.

ب-عن جابر بن عبد الله «أن رجلا من أسلم جاء النبي ﷺ فاعترف بالزنا، فأعرض عنه النبي ﷺ حتى شهد على نفسه أربع مرات فقال له النبي ﷺ أبك جنون؟ قال: لا، قال: أحصنت؟ قال: نعم: فأمر به فرجم بالمصلى، فلما أذلقته(٢) الحجارة فر، فأدرك فرجم حتى مات، فقال له النبي ﷺ خيرًا وصلى عليه»(٣).

فقد ذكره النبي ﷺ بجميل القول وصلى عليه(٤).

ج- من الأثر: عن الشعبي قال: «لما رجم علي شراحة، جاء أولياؤها فقالوا: كيف نصنع بها؟ فقال: اصنعوا بها ما تصنعون بموتاكم»(٥). يعني من من الغسل والصلاة عليها.

يقول ابن قدامة: لا خلاف في تغسيل من رجم ودفنه، وأكثر أهل العلم يرون الصلاة عليه(٦).

وقال القاضي عياض: لم يختلف العلماء في الصلاة على أهل الفسق والمعاصي والمقتولين في الحدود وإن كره بعضهم ذلك للإمام وأهل الفضل(٧). الفضل(٧).

٤. ومن رحمته بأمته ﷺ إن إقامة الحدود لم تكن مانعة من الاستغفار والدعاء بالرحمة لمن أقيم عليه الحد، لما روي عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «استغفروا لماعز بن مالك، قال: فقالوا غفر الله

(١) أخرجه مسلم (النووي). المصدر نفسه.
(٢) أذلقته: أقلقته، وقيل أذلقته: بلغت منه الجهد حتى قلق، وقيل: أذلقته الحجارة: أصابته بحدها. فتح الباري (١٢/ ١٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (فتح الباري) كتاب الحدود، باب الرجم بالمصلى (١٢/ ١٣٢).
(٤) فتح الباري (١٢/ ١٣٣).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب الرجم والإحصان ٧/ ٢٦١.
(٦) المغني ٨/ ١٦٨.
(٧) فتح الباري ١٢/ ١٣٤.

لماعز بن مالك، فقال رسول الله ﷺ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»(١).

فقد دل الحديث على أن إقامة الحد غير مانعة من قبول التوبة لأن الحدود بجانب كونها زواجر فهي في نفس الوقت جوابر(٢) تطهر الذنوب، لهذا لم تكن إقامة الحد على الزاني مانعة من قبول توبته وطلب المغفرة له.

***

(١) أخرجه مسلم (النووي) كتاب الحدود، باب حد الزنا ١١/ ١٩٩- ٢٠١.

(٢) قال أكثر العلماء: الحدود كفارة لقوله ﷺ: «ومن أتى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارته» وقال: «ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له». أخرجهما مسلم (النووي) كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (١١/ ٢٢٣).

التراث الإسلامي

التراث الإسلامي وتأويله.. مقاصد واتجاهات.. مقومات وتحديات

د. وصفي عاشور أبو زيد

أولاً: دراسة هذا التراث والعيش معه:

فلا يمكن لأحد لم يقرأ نصا تراثيا أن يتعامل معه أو يحكم عليه؛ فهذا التراث ليس سهلًا، بمصطلحاته وأدواته، بتاريخه ومراحله، بدلالاته وأعرافه، بمصنفاته وأعلامه، بمدارسه في كل علم واتجاهاته.

ومن أسف أن الذين يهاجمون التراث، ويتخذون منه مواقف سلبية، أكاد أجزم أن واحدًا منهم لم يطلع على صفحة واحدة من هذا التراث، وإذا قرأ فإنما يقرأ عنه ممن يكتبون عن جهل به وسطحية في النظر إليه، ويردد هؤلاء وأولئك أقوالًا يلوكونها بألسنتهم، ويحسبونها هينة وهي عند الله عظيمة.

ثانيًا: تعلم اللغة العربية:

إذا كان تراثنا العربي والإسلامي كتب باللغة العربية، فلا بد من تعلم هذه اللغة حتى نستطيع أن نفهم نصوص الوحي، ونعبر إليه من خلال تراثنا العربي والإسلامي الذي يستوجب قراءته بلغته، ولا غرو فقد قامت علوم العربية من أجل خدمة القرآن والسنة، ولها علاقاتها الوطيدة بعلوم الإسلام، وحسبنا الكتاب الموسوعة الذي تجاوز الألف صفحة لابن الأزرق الغرناطي من علماء القرن التاسع الهجري بعنوان «روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام»، كما أن هناك كتبًا تتحدث عن الوجوب الشرعي لتعلم العربية، وهذا حق، فإن باحثًا مدققًا منصفًا لا يسعه إلا أن يقول بوجوب تعلم اللغة العربية لمن اشتغل بعلوم العربية والإسلام.

ثالثًا: الوقوف على مقاصد المؤلفين:

لكل مؤلف من كتابه أهداف، وله في تناوله مصطلحات لها مضامين ودلالات، فقد يستخدم المصطلح قديمًا بمعنى مغاير لما استقرت عليه الحال اليوم؛ فيقع الخلط ويحدث الفهم الخطأ والتأويل الخطأ، فقد كان الحديث الضعيف مثلًا عند الإمام أحمد يدخل فيه الحسن وألوان الضعيف، حتى إذا ما تطور علم المصطلح واستقر انفصل الضعيف عن الحسن، وبغير إدراك يمكن النقل عن الإمام أحمد نقلًا خطأ، والحكم على ما يقول حكمًا خطأ، وهكذا.

وتتجلى مقاصد المؤلفين في مقدمات كتبهم؛ حيث إن كل عالم يودع مقدمة كتابه مقصودة منه واصطلاحاته فيه، وبدون ذلك لا يمكن التعامل مع التراث ولا مناقشة الكاتب، ولا تأويل ما يقول، ومن هنا فإن الاطلاع على مقاصد المؤلفين أمر في غاية الأهمية والخطورة معًا، لا يمكن تجاوزه ولا تجاهله بحال من الأحوال.

رابعًا: معايشة المشتغلين بالتراث والرجوع إليهم:

لكل صنعة أهلها، ولكل علم رجاله، ولكل مجال خبيره الذي أمرنا الله تعالى بسؤاله والرجوع إليه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، فلا يقبل أن يرجع الناس للمختصين والخبراء في كل مجال، ثم يصبح مجال التعامل مع التراث وتأويل مقولاته ملعبة ومعبثة في يد كل أحد، ومع كل من هب ودب، ويصبح مستباحا للجهلة والسطحيين الذين لا يؤتمنون على قراءة صفحة واحدة من كتاب تراثي.

وإن معايشة من أفنوا أعمارهم في معالجة التراث وفهمه وحراسته من الأمور المهمة التي تكوّن الملكة وتحقق المراد وتربي منهجية التعامل مع التراث وتأويله بدقة وتحقيق؛ فلا بد للأجيال المعاصرة أن ترث هذا الوعي والعمق في التعامل مع التراث، ولا يمكن لهذا أن يتحصل إلا بمعايشة من عانوا في هذا الطريق، وسلكوا في التعامل مع التراث سبيل التحقيق والتدقيق، فحالفهم من الله تعالى القبول والتوفيق.

تحديات أمام قراءة التراث الإسلامي وتأويله: إذا كان ما سبق يعد مقومات في التعامل مع التراث، وأدوات يجب استكمالها من أجل تأويل التراث تأويلًا يتناسب مع منزلته المعرفية وقيمته الحضارية، فإن هناك تحديات لو لم نتغلب عليها ستحول بيننا وبين معرفة تراثنا؛ فضلًا عن تأويله تأويلًا صحيحًا، والتعامل معه تعاملًا سليمًا، ومن هذه التحديات:

أولاً: ضعف الثقة بالذات:

إن ضعف الثقة بالنفس يمثل مرضا نفسيًا خطيرًا، ليس في التعامل مع تراثنا فقط، وإنما في التعامل اليومي مع الحياة والأحياء والأحداث والأشياء، فالإنسان المتردد ضعيف الثقة بنفسه لا يمكن أن يحدث فرقًا، ولا أن يقوم بتغيير؛ فضلًا عن أن يقوده ويمسك زمامه.

فاهتزاز الثقة بالذات من العوائق الكبيرة، وهي تمثل هنا الظن بأن تراثنا لا يرقى إلى التعامل مع الواقع، ولا يملك من الملاءمات ما يمكنه من حل المعضلات الواقعية والمشكلات العملية، فهو يرى نفسه بلا جذر، ولا تاريخ، ولا حضارة، وهذا من قلة اطلاعه على هذا التراث العظيم، ومن كثرة سماعه للجهلة والحداثيين والمتغربين الذين يتبعون الغرب حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو دخل جحر ضب خرب لدخلوه، ولا حل ولا علاج أما هؤلاء إلى استعادة الثقة بذواته وتراثهم من خلال قراءته ومعالجته والإقبال عليه، والإشراف على دُرره الثمينة وكنوزه العظيمة.

ثانياً: الفتنة بالغرب:

من المعوقات أو التحديات في التعامل مع التراث فضلًا عن تأويله الفتنة بالغرب، فها هو الغرب قد صعد إلى القمر، واخترع من المخترعات ما قاد به العالم، وهو الآن يحكم العالم ويتحكم في مقدراته، سواء بالأصالة أو بالوكالة، ولو كان الغرب على باطل لما تقدم هذا التقدم ولا تحكم هذا التحكم، كما أن العالم العربي والإسلامي لو كان على حق لما وصل إلى ما وصل إليه من تخلف وتقهقر

وتشرذم وتفرق، وأن التراث العربي والإسلامي أحد أهم هذه العوائق عند المسلمين، تعوقهم نحو انطلاقتهم وتقدمهم كما تقدم الغرب.

وهؤلاء في الحقيقة عذرهم أنهم يرون ما عند الغرب من تقدم مادي وهو حق، رغم أن هذا التقدم المادي المنفصل عن القيم والأخلاق والروح ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، ولكنهم (أجيالنا) يجهلون تاريخهم وحضارتهم ولا علاقة لهم بتراثهم، ولو اطلعوا على ما عندنا من كنوز في سائر علوم الإسلام وعلوم الإنسان لما ذهبوا هذا المذهب، ولما وقفوا أمام حضارة الغرب مبهورين بها، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة!

ثالثًا: طبيعة الأجيال المعاصرة:

من التحديات التي تلفت الانتباه للتعامل مع التراث العربي والإسلامي وتأويله، التي تقف حائلًا بين أجيالنا وتراثنا؛ طبيعة هذه الأجيال؛ طبيعتها الإنسانية اليوم، وأخلاقها في مجملها؛ فهي أجيال عجولة، لا قدرة لديها على التحمل، ولا طاقة لها على الصبر، تريد الإنجاز السريع والعمل السريع والنتائج السريعة، كيف لا وهم يحققون من أعمال في لحظات ودقائق ما كان أسلافهم يحققونه في أيام وشهور وسنين؟! ولكن ما أبعد الفرق بين المسلكين! وما أعظم البون بين النتيجتين هنا وهناك!

فهذه الطبيعة لأجيالنا المعاصرة تحتاج إلى إعادة تأهيل، وتعزيز التربية على الصبر الجميل، وقوة الإرادة وعلو الهمة، وبذل الجهد، ومحاكاة السابقين في هذا كله، وهو أمر يحتاج إلى تفكير وتخطيط بما يتناسب مع هذا التحدي الكبير.

رابعًا: سلبيات وسائل التواصل:

لا يخفى على أي متابع ما ترسخه وسائل التواصل الاجتماعي من طباع وأخلاق في الأجيال الصاعدة، حتى انسحب هذا التأثير على الأجيال الكبيرة سنًا التي طرأ عليها هذا العالم وطرأت عليه؛ حيث عاشت قبله واقع الحياة دون وجود هذه الوسائل قد أسهمت في تسطيح الثقافة، وتفريغ الأجيال من

مضمونها، وترسيخ ثقافة «تيك أواي» وحرق عمرها وإضاعة أوقاتها في غير سبيل الرشاد إلا من رحم الله تعالى!

فالأجيال تضيع أعمارها وأوقاتها في مشاهدات ومتابعات ما لا يسمن ولا يغني من جوع، ومع طول الوقت وتقدم العمر تصبح هذه الأجيال خاوية على عروشها، لا ثقافة ولا علم ولا ارتباط بالتراث ولا إنجاز.

إن هذه الوسائل تمثل تحديًا ليس قليلًا يحول بين الأجيال وتراثها، ويضعها في حالة غربة عنه؛ لأنها لا تقضي وقتًا معه، ولا تقرأ فيه ولا عنه، بل تعيش مستغرقة في ساحة هذا العالم الافتراضي، ومتسربلة في جاذبيته واستتباعه.

***

فضائل القرآن

يا حامل القرآن

د. خالد أبو شادي

الحمد لله رب العالمين، الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، فجعله لله به سراجا منيرًا، أما بعد..

أشرف مقام وأعظم بضاعة!

فما أشرف مقامك يا حامل القرآن! وما أعظم بضاعتك! يحق لك أن تزهو بها بين الخلق، زهوًا لا ينبع من تكبر ولا غرور، ولكن من اعترافك بفضل الله عليك أن اصطفاك لحمل كلامه ومشاعل نوره، فمن يوازيك في الفضل؟! ومن يساميك في الخيرية؟! فرسول الله ﷺ بنفسه شهد لك بذلك، فقال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

هذا الشرف عرفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما جاء خراج العراق، جعل غلام لعمر يعد الإبل الكثيرة ويقول: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر رضي الله عنه: كذبت، ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال أهل التفسير: إن «فضل الله» هو الإسلام، و«رحمته» هي القرآن، فأين تذهب كنوز الأرض التي يجمعها الدنيويون ويتقاتلون عليها بجوار كنز القرآن العظيم؟!

إن القرآن وحده ما يستحق الفرح بنص القرآن، ليس غير، فكل ما سوى القرآن زائل، ووحده كتاب الله يبقى لك ذخرًا في حياتك وبعد مماتك، ومما شرفك الله به أن جعلك معلمًا لكتابه مع ما في ذلك من ثواب لا يخطر ببال، ولا يحيط به خيال، وتأمل معي روعة البشرى والجائزة

الكبرى التي أعلن عنها رسول الله ﷺ، فقال: «من علّم أية من كتاب الله؛ فله أجرها ما تليت».

وتفكر معي، كم مرة سيقرأ من علمته القرآن آيات القرآن التي أقرأتها إياه؟! ومع كل حرف ينطلق به لسانه، سيجعل الله لك مثل أجره، دون أن ينقص ذلك من أجره شيئًا، ولعلك تكون غدًا موسّدًا في قبرك، بينما نهر حسناتك لا يزال يجري، وصحيفة حسناتك لا تزال مفتوحة غير مطوية، تخيل فيها الملائكة تكتب ما يتلوه تلامذتك من آيات، ويصلونه في ركعاتهم، إن هذا الشرف العظيم نعمة جليلة، فهل أدينا شكرها؟ فإن كل تشريف لا بد بعده من تكليف، وكما لم يجعل الله فوقك أحدًا حين حملك بكتابه، فكذلك أدّ من الشكر ما تسبق به كل أحد، فما واجباتك؟ وما علامات شكرك؟ وما أمارات امتنانك لربك؟

١. الإخلاص وتجديد النية.
٢. الفهم.
٣. التدبر.
٤. العمل بالقرآن.
٥. تبليغ رسالته.
٦. التحاكم إليه.
٧. الاستشفاء به.
٨. الاستدلال به.
٩. التعظيم.
١٠. تعليم تلاوته لغيرك.

إن حملة القرآن اليوم ليسوا أكثر الناس عملًا به، ولا أدلهم بسلوكهم عليه، ولا أرشدهم بحالهم على أخلاقه، وهذا خلل كبير، وسبب أساسي لنكبة الأمة، وهل هناك أخطر من أن يكون حافظو دستورها أول الخائنين له، والمفرطين فيه؟! فكيف يكون حال غيرهم؟!

يوشك القرآن أن يكون حجة على هؤلاء، لا حجة لهم، وإن حديثًا مخيفًا يطرق آذان حملة القرآن، ليكون صرخة نذير وصيحة تحذير، جاء فيه: «إن أكثر منافقي أمتي قراؤها». (صحيح الجامع: ١٢٠٣)

وهل سبب هذا النفاق إلا أنهم لم يعرفوا ما عليهم من واجبات، فغرّهم ثناء

الناس عن مراقبة أعمالهم وفحص قلوبهم، فغزاهم الشيطان غرة؛ فحول أعظم الهبات والأعطيات إلى سبب إصابتهم بأعظم الآفات!

فاستعذ بالله من هذا المصير يا حامل القرآن، ويا حافظ الأيات.

النية والإخلاص

نبدأ بأول واجب من واجبات حامل القرآن ومسؤولية من مسؤولياته، وهو ما بدأ به أئمة الحديث كتبهم لأهميته وأولويته، حيث افتتحوا كتبهم بباب «الإخلاص»؛ ذلك أن الإخلاص روح الأعمال، وعمل بلا روح يولد ميتًا، وحري ألا يقبل الله تعالى، ويرده على صاحبه، ولذا يهزنا هزًا، ويؤزنا إلى الإخلاص أزًا، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة، وذكر فيهم: «ورجل تعلم القرآن وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت! ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار».

فيا حامل القرآن، هل بلغك هذا الخبر؟ أوصلك مصير بعض من قرأ القرآن وعلّم العلم؟!

لو وقع هذا المشهد أمام عينيك – وهو واقع غدًا لا محالة – ثم سألت الله تعالى الرجعة لتراجع إخلاصك، فأجبت إلى طلبك، فماذا كنت فاعلًا؟ وما كنت من أعمالك فاحصًا ومراجعًا؟!

إن الإخلاص عمل قلبي خفي، لا يطلع عليه أحد، لا بشر ولا ملك، ورغم هذا فإن له علامات ومؤشرات، ومقاييس وموازين، تستطيع بها قياس منسوب الإخلاص في قلبك، واستشراف ما ينتظرك من جزاء في الغد، فإن لم تفعل، كانت فجأة الشر في انتظارك يوم الجزاء؛ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وكي تتقي أعظم فجأة شر، وتتجنب أعظم صدمة في دنياك، وآخرتك، وكيلا

تقول: إنك لم تنذر، كانت هذه الكلمات: يا حامل القرآن، النية والإخلاص!

أصل الإخلاص أن تقصد بعملك وجه الله تعالى وحده، وألا تشرك مع الله سبحانه في نيتك غيره، فلا ترى مع الله عز وجل أحدًا، ولا يزيدك اطلاع الناس على عملك نشاطًا وحماسًا، ولا غيبتهم عنك تكاسلًا وفتورًا، وإنما حضور الناس وغيابهم عندك سواء، ومدحهم وذمهم لا يمران على قلبك، فقط على سمعك وأذنك.

فهل تتصور أنك بعد مضي هذا العمر الطويل، وبذل هذه الحسنات التي أفنيت عمرك في تحصيلها أن يطير ثوابك، وتجد محصلة أعمالك صفرًا، وأن يجعلها الله هباء منثورًا، فتستوي أنت ومن لم يبذل شيئًا، بل تفوقه في العقوبة، وتكون أول من تسعر بهم النار؟!

إن هذا أخطر ما يتهددك، وهو قريب منك ليس ببعيد، ومن خطورته أن أكثر الناس في غفلة عنه، حتى قيل: «أكثرهم وقوعًا في الرياء آمنكم له».

وهذه القراءة ليست قراءة عابرة، بل جلسة تحفيز وتخويف، وفصل من فصول مدرسة الترغيب والترهيب، وفقرة لن تنتهي بقراءة هذه الصفحة، وإنما تبدأ بقراءة هذه الصفحة، ويستمر أثرها معك بحسب إيمانك، فإن الخوف يتناسب طرديًا مع الإيمان، كلما زاد إيمانك زاد خوفك! وإذا قلّ هذا قل هذا: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ولأن تصحب من يخوفك حتى تبلغ مأمنك، خير من أن تصحب من يؤمنك حتى تنالك المخاوف.

فما محبطات الأعمال، وخوارم الإخلاص؟ وما الثقوب التي تخرم قلب العبد، فيتسرب منها إخلاصه؟!

١. فرحك بمدح الناس، وانقباضك من ذمهم: بل إن البعض يغضب إذا لم يمدحه الناس بالقدر الكافي! ويجد في نفسه إذا لم يتلق الإكرام اللائق بحامل القرآن، وإنما أراد المسكين تعظيم نفسه ورفع قدره عند غيره، فهل تعلم القرآن لأجل هذا؟!

قد يقول قائل: وما الضرر أن أنوي

نيل الأجر وتحصيل الذكر في آن واحد؟!

والجواب تجده في هذا الحديث: سئل النبي ﷺ عن الرجل يجاهد، يلتمس الأجر ويلتمس الذكر، فقال للسائل: «لا أجر له»، فنزل على إثرها قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

٢. لا ينسب العلم إلى قائله: وكأنه مصدر المعرفة وحده، والفضل كل الفضل له، وقديمًا قالوا: الحر من راعى وداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة.

ولو كان مخلصا حقا، لا يرجو غير وجه ربه، لما وجد ضيرًا في ذكر من علمه، بل سره ذلك.

٣. يغار من تلميذه إن تفوق عليه: المخلص يفرح إن تفوق عليه من علّمه، فإن حسناته غدًا يوضع مثلها في ميزانه، فيقدم تلميذه النافع على نفسه، لأنه أنفع للناس، ولا يضيق صدره إذا قدم الناس تلميذه في إمامة أو صدارة.

٤. يحب أن يشتهر بالدقة بين الناس لغرض: ومن خوادش الإخلاص لدى حامل القرآن أن ينوي بدقة تصحيحه لقراءة غيره أن يشتهر بالدقة بين أهل القرآن، وأنه لا يدع شاردة ولا واردة إلا أحصاها، بدلًا من أن يكون غرضه من هذا أمانة النقل عن شيخه، فتختلط نيته، ويتبدد ثوابه وطاعته! احذر هذا الفخ!

٥. يجيب عن كل ما سئل عنه: فلسانه لا يعرف «لا أدري» ولا «الله أعلم»، مع ما اشتهر به علماء أهل المدينة أن نصف العلم: لا أعلم.

سأل رجل الإمام مالك عن مسألة، فقال الإمام: لا أحسنها، فقال الرجل، إني ضربت إليك من كذا وكذا، لأسئلك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك، فأخبرهم أني قلت: لا أحسنها.

٦. يحب أن يقرئ غيره أمام الناس ويتحمس له ويسر به، بينما تفترحماسته إذا قرأ سرًا أو من وراء الأبواب.

٧. يتوقف عن نقل العلم إلى غيره ويبخل به، بدعوى أنه لا يوجد من هو

أهل لنقل العلم إليه، غافلًا عن وصية النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

٨. يجب أن يتصدر المجلس، لا أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، وليس فقط تصدر المجلس، بل يتصدر المشهد، بحيث لا يجب أن يقضى أمر دون الرجوع إليه وأخذ رأيه.

٩. يجب أن يقدمه الناس عند التزاحم على أمر، وأن يخدموه ويسارعوا إلى قضاء حاجته، ناسبًا هذا زورًا إلى إكرام القرآن لا إلى إكرام شخصه، ناسيًا أن في هذا اعتداء على حقوق الآخرين، بل ولو استأذن منهم لكان هذا بسيف الحياء، ومن هذا كان يحذر سفيان الثوري فيقول: «لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار خير لي من أن أطلبها بالدين».

١٠. قلة عبادات سره وخبيئة عمله الصالح: فقيام الليل، وذكر الله خاليًا، وصدقة السر في أسفل قائمة أولوياته، رغم أنها الماء الذي يروي شجرة الإخلاص في القلب، ويقضي على جرثومة السمعة والرياء.

***

السنوات الخداعات

نظام التفاهة وعالم الرويبضة!

ناصر حمدادوش

في عام ٢٠١٧م، صدر كتاب «نظام التفاهة» للمفكر والأستاذ في الفلسفة والعلوم السياسية الكندي «ألان دونو» وقد ترجمته وعلقت عليه الأستاذة في القانون الخاص بكلية الحقوق – جامعة الكويت د. مشاعل عبد العزيز الهاجري، عام ٢٠٢٠م، وهو كتاب لافت في عنوانه، شيق في مضمونه، جريء في أطروحاته، يمكن تصنيفه ضمن أدبيات «ما بعد الحداثة»، التي تهتم بنقد مآلات الحداثة الغربية، حيث انحدرت إلى تضخم النزعة المادية والاستهلاكية، وإلى «تشييء» الإنسان وتسليعه، بدلًا من تحريره وصون كرامته.

والكاتب كما تقول المترجمة: صاحب عقل متدقق، وهو ثائر غاضب وحاد، فهو من أشد المناهضين للرأسمالية المتوحشة، وقد ألف كتابه هذا كنوع من القلق على مستقبل الإنسانية، مؤكدا واقعًا مريرًا؛ «لقد تبوّأ التافهون قمة السلطة»، وأن الفكرة المركزية له أن البشرية تعيش مرحلة مأساوية وغير مسبوقة في تاريخها المعاصر، وذلك بسبب سيطرة التافهين على مفاصل الحياة، وهو بذلك يدق ناقوس الخطر من تحكمهم في أدوات السلطة وسيطرتهم على وسائل التأثير، وأننا محاطون بقدر كبير من العبثية واللامبالاة.

وقد غزت هذه التفاهة ميادين شتى، منها: الحياة اليومية والرياضة والفن والتكنولوجيا والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي؛ بل وزحفت نحو السياسة والاقتصاد وعالم المال والأعمال، بل ولم تستثن الميادين المقدسة؛ الدينية والتعليمية والأكاديمية والبحثية.

وقد أصبحت للتفاهة هيكلية بنيوية منتشرة في كل أنحاء العالم، وهي تضرب بجذورها الناعمة أعمال الأفراد والجماعات والشعوب والدول بهدوء وإصرار، ويلاحظ – حسب المترجمة – الصعود الغريب للقواعد التي تتسم بالرداءة والانحطاط، فتدهورت الجودة العالية، وغيب الأداء الرفيع، وهمشت منظومة القيم، وبرزت الأذواق المنحطة، وأبعد الأكفاء النزهاء.

كما ألف د. حجاج محمد عطية كتابه «زحف التفاهة.. قراءة في عبثية الواقع المعاصر وسبل الخروج منها»، وكانت طبعته الخاصة بالمؤلف عام ٢٠٢٣م، وقد دفعه للكتابة حول هذا الموضوع أن «التفاهة» مرحلة من مراحل التدهور إلى قاع الهاوية الحضارية، وهي المرحلة التي يتم فيها تغييب الإنسان عن حقيقة وجوده، بمسخ هويته وتزييف معتقداته وتعطيل فاعليته والنيل من عزيمته، وأن زحف التفاهة ممنهج، له سدنته ورعاته، وأن مرآة التفاهة تعكس تطورًا خطيرًا في زمن السنوات الخداعات، حيث يلبس العظيم ثوب الحقير، والخسيس ثوب الأصيل، والكاذب ثوب الصادق، والخائن ثوب الأمين، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «ستأتي على الناس سنون خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن في الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة». (صحيح الجامع: ٣٦٥٠)

وقد حاول الكاتب محاكاة كتاب «نظام التفاهة» ليتحدث بنفس إسلامي عن ميادين «التفاهة»، وكان هذا النظام يجسد الوعيد الشيطاني للنوع الإنساني بالحصار الشامل، وذلك بالقسم على الغواية، والإصرار على التفاهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]، فتحدث عن:

– التفاهة في ميدان الدعوة: وأن

غمامة التفاهة قد أظلتها في المستوى الهزيل والتكوين الهش للبناء العلمي والأخلاقي والروحي للداعية، وفي عمل الداعية، حيث تحولت الدعوة من فكرة نبيلة إلى لقمة للعيش، ومن ر سالة سماوية مقدسة إلى وظيفة دنيوية مدنسة.

– وفي ميدان العلم: تم تسليع العلم و«تشييء» المعرفة، فصار العلم لمن يدفع، وانتهت جهود المؤسسات التعليمية لمن يموّل، فتحولت إلى ساحة للهوس بالنقاط ومجرد الحصول على الدرجات العلمية كأدوات للوجاهة الاجتماعية، وكشهادات فارغة من البعد الأخلاقي والحضاري والرسالي، بل تحولت «المعرفة» إلى سلعة، و«الإنتاج العلمي» إلى مجرد مكاسب مادية، واختزل «الإنتاج الفكري» في عالم الأشخاص والأشياء، وقد قال مالك بن نبي (١٩٠٥ – ١٨٧٣م): «فكرنا خاضع لطغيان الشيء والشخص، وهذا السبب سيختفي عندما تستعيد الأفكار سلطانها في عالمنا الثقافي».

– وفي ميدان الرياضة: وما فعله كهنتها في مجتمعاتنا الساذجة، حتى أصبحت طاغوتا ساحرًا، وحالات مرضية تشغل الرأي العام بالأرقام الخيالية التي تحلق فوق سماء العقل فيما يتعلق بالمتابعات والاهتمامات والصفقات وإسعار اللاعبين، وأصبح مشاهيرها نجومًا آسرة ومحل قدوة على حساب الرموز والقدوات الحقيقية!

– وفي ميدان التكنولوجيا: التي أصبحت وسيلة لاستعباد الإنسان، قد ارتبطت بها كل تفاصيل حياته حتى سلبته السلام النفسي الذي يعيشه الأحرار، وجعلت منه عصبيًا متوترًا، غادرت سماءه ظلال الطمأنينة لصالح غيوم القلق والاضطراب.

– وفي ميدان الإنترنت: وهو ميدان الهروب من الواقع، قد ألقى بأجيال بأكملها في متاهات كبيرة من التفاهة، وصنع إلها جديدا من السفاهة، يتسبب في العزلة الاجتماعية، والعيش في عالم وهمي، بصفات متنامية من الكسل والخمول وضياع الأوقات والصلوات وحرق

الأعصاب، والغرق في بحور من الشائعات، ومستنقع نتن من الإباحية والرذيلة، فأصبح المحتوى الهابط محل «الترندات» بالجهاد المقدس للتفاعلات من الإعجابات والتعليقات والمشاركات والمشاهدات، حيث أتيحت مواقع التواصل الاجتماعي لغزوات البلهاء، والنشر الإباحي للحمقى.

– وعن ميدان الفن: الذي يفترض فيه أنه رسالة حضارية هادفة، ومرآة عاكسة للمجتمع في تربية النشء وغرس القيم وحماية الفضيلة وتنمية المشاعر الإنسانية الراقية، إلا أن جزءاً كبيرًا تحول إلى ساحة للتفاهة في انتفاخ موهوم من القذارات والسخافات التي أفسدت الأذواق وشوهت الفطرة، بالتصدير الممجوج للعري والفحش والخيانة.

– وعن ميدان الحياة اليومية: التي تعطلت فيها كوابح الغريزة وجنون الاستهلاك وعظمة التملك على إيقاع صخب الرفاهيات والكماليات، وضجيج الملهيات والشهوات، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه..»، وقد خلد التاريخ مقولة اقتصادية خالدة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليست من أساطير الأولين: «أكلما اشتهيتم اشتريتم!».

وبغياب النظرة الكلية الحقيقية عن الدنيا يقع الفرد ضحية طاحونتها التي لا ترحم من يقع تحت وطاة رحاها، وقد حولت الأحرار إلى عبيد، والحديث النبوي يصرخ في وجوههم: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط..».

إن « نظام التفاهة» تسبب في آثار مدمرة لشخصية الإنسان في ضميره وحريته وإرادته، وعمق تمزقه الفكري والنفسي، وزيف مصادر الطاقة الحقيقية لروحه وعقله، واعتدت على آدميته وإنسانيته، مما أفقده الشخصية المتكاملة المستقلة والقوية، وقد ورد في الحديث الشريف: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس

أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا». رواه الترمذي (٢٠٠) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذه الوجه. وقد ضعّف إسناده الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير وقال في تعليقه على مشكاة المصابيح: وقد صح عن ابن مسعود موقوفًا.

إن انفجار «التفاهة» هي من انقلاب الأحوال في آخر الزمان، وهي علامة من علامات الساعة، وقد جاء في الحديث أيضًا: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن كلع»؛ واللكع هو اللئيم الذي لا يعرف له أصل، ولا يحمد له خلق، فهو وصف يطلق على الحمق والذم؛ أي على الصغير في العلم والعقل.

والسبيل إلى الخلاص من نظام التفاهة وعالم الرويبضة هو تحصين الإنسان في روحه وعقله وجسده، واستعادة منظومة القيم الإسلامية والإنسانية، وتعزيز مناعة الأسر والمجتمعات، واستعادة مؤسسات التربية والتكوين والتنشئة دورها في محورية بناء الإنسان الرسالي، والاستثمار الفعلي في الواقع الحقيقي للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعوب والدول.

***

دعوة وتربية

إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية

د. رمضان أبو علي

تعبر الحضارة عن المرحلة السامية من حياة الأمة، وما اشتملت عليه من مظاهر الرقي والنهوض، التي تستوعب شؤون الحياة كلها، ونعني بالحضارة الإسلامية ذلك التقدم والازدهار الذي قام على البناء المتكامل للحياة، فشمل الروح والجسد، والدين والدنيا، والفرد والجماعة، والعلم والعمل، وغيرها من الركائز التي تنهض بالحياة الإنسانية في جوانبها المتعددة؛ إيمانيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

من هنا يتبين أن الإنسان هو الركن الركين والأصل المتين الذي يقوم عليه البناء الحضاري، ذلك أن التقدم الصناعي والاقتصادي والتكنولوجي لا يقدم للبشرية نفعًا أو خيرًا إلا إذا كان على يد إنسان صالح، يستطيع أن يوظف هذه الطاقات والإنجازات لصالح الناس، أما إذا كان الإنسان فاسدًا أو عاجزًا، فإنه يضر أكثر مما ينفع، ويتخذ من المنجزات المادية وسيلة لتدمير البشرية.

ولهذا حرص الدين الإسلامي على تكوين الإنسان الصالح، الذي يقيم الحضارة ويوظفها لخدمة الناس أجمعين.

فما الدوافع التي أدت إلى اهتمام الحضارة الإسلامية بإعداد الدعاة؟

أولًا: اهتمام القرآن الكريم بإعداد الدعاة:

فقد ارتكزت الحضارة الإسلامية على القرآن الكريم، وانطلقت من توجيهاته نحو البناء والنماء، وإن الناظر في آيات القرآن يجد أنها شملت العديد من التصريحات والإشارات التي تدعو إلى إعداد الداعية وتكوينه، فالله تعالى حين أراد أن يكلف رسله بدعوة الناس إليه، جعل بلوغ الرشد أساسًا لهذا التكليف،

وهو نوع من الإعداد، فعندما أراد أن يرسل رسوله يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف: ٢٢]، وعندما أراد أن يرسل رسوله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [القصص: ١٤]، كما عبّر الحق سبحانه وتعالى عن إعداد سيدنا موسى عليه السلام بقوله: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤٠-٤١].

وعندما أراد الله أن يمكّن للمستضعفين في الأرض، وأن يجعلهم أئمة فيها، أي قادة لها؛ بدأ ذلك بإعداد قائد هذه النهضة وتكوينه في مرحلة المهد، ثم الطفولة ثم الشباب ثم الرشد، وقد جاء ذلك مفصلًا في سورة القصص، حيث قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ [القصص: ٥-٧]، إنه الإعداد والتكوين للداعية القائد.

وقد تجلى هذا الإعداد أيضًا في القصص القرآني لدعوات الأنبياء والمؤمنين، ومرورها بفترات إعداد قوية، ثم الدعوة بعدها إلى الاعتبار والاقتداء بهم، فقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠]، وقد أكد الرسول ﷺ تأثره بهذا الإعداد الإلهي للرسل، وذلك في قوله: «يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» (١)، وقوله عن سيدنا موسى: «يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»(٢)، وفي هذا إعداد لشخصية الرسول ﷺ ومن بعده من الدعاة إلى الله تعالى.

ثانيًا: حرص الرسول ﷺ على إعداد الدعاة:

فقد بذل الرسول ﷺ أعظم الجهد في إعداد الدعاة، حيث حرص على تربية

(١) صحيح البخاري (٤٦٩٤).
(٢) صحيح مسلم (١٠٦٢).

المؤمنين به على الإيمان السليم والعبادة الصحيحة والأخلاق الحسنة، ثم تعهدهم بالرعاية والعناية في أوقات الشدائد التي تسهم في البناء الإنساني ثم الحضاري، ومن الأمثلة على ذلك ما ثبت عن سيدنا خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(١)، إنه يدعوهم إلى الثبات والصبر وترقب النصر.

وظل الرسول ﷺ يربي اتباعه ويرسلهم إلى الأماكن المختلفة، ليكونوا دعاة إلى الله فيها، فيرسلهم إلى القبائل المجاورة، وإلى الحبشة، وإلى يثرب، وإلى اليمن، ويرسم الطريق أما هؤلاء الصحابة ويربيهم على مبادئ الدعوة وفنونها، فيقول لأبي موسى، ومعاذ بن جبل، حين أرسلهما إلى اليمن: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»(٢).

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يبعث معاذا إلى اليمن، قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ » قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأي ولا آلو، فضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله»(٣)، وهكذا استطاع الرسول ﷺ أن يبني جيلًا من الصحابة، كانوا قادة الأمة في فتوحاتها، وبناة

(١)صحيح البخاري (٦٥٤٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) سنن أبي داود (٣٥٩٢).

حضارتها في كل مكان.

ثالثًا: حاجة الناس إلى الدعاة:

لقد فطنت الحضارة الإسلامية إلى ضرورة إعداد الدعاة، وذلك لحاجة الناس إليهم، في التوجيه والإرشاد، فإذا استطاع الجيش الإسلامي أن يفتح بلدًا من البلدان؛ فإنه يحتاج إلى دعاة صادقين، يعرفون الناس بهذا الدين، ويجيبون عن أسئلتهم ويجتهدون في تلبية احتياجاتهم الروحية والمادية، فإذا وجد الناس من يدفعهم إلى الخير ويقودهم إليه؛ فإنهم يسلمون له قيادهم، حتى ينفرد بالتأثير فيهم والتوجيه لهم.

ولهذا، قال الشيخ محمد الغزالي: «إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة، فالأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المتألق، وكم من شعوب عاشت دهرًا في قيود الهوان حتى قيض الله لها القائد الذي نفخ فيها من روحه ريح الحرية، فتحولت بعد الركود إلى إعصار، يجتاح الطغاة ويدك معاقلهم»(١).

من هنا يتضح أن السبيل إلى النهضة والحضارة بناء الدعاة الصادقين، ونشرهم في بقاع الأرض، لتقويم ما اعوج من أحوال الناس، وجمع شملهم، وتبصيرهم بما يحاك بهم وما ينبغي لهم تجاهه، حتى يتمكنوا من الهداية والصلاح والنصر والفلاح.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يجب على الإمة الإسلامية أن تعمل على إعداد الدعاة إلى الله تعالى، إعدادًا يستوعب جميع شؤونها، ويلبي حاجاتها الروحية والمادية، ويخطط للرقي والنهوض بها، ويضع الوسائل العملية أمام أبنائها حتى يستطيعوا بعث حضارتها من جديد.

وفي هذا الإطار تأتي هذه السلسلة من المقالات التي ترتكز على الكشف عن جوانب الإعداد الحضاري للدعاة، إيمانيًا وفكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا ومهاريًا، ليكونوا قادرين على الانسجام

(١)مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة: الشيخ محمد الغزالي).

مع الحالة التي تسعى إليها. وقد زخر التاريخ الإسلامي بأسماء عديدة، تكونت في رحاب هذه الحضارة، وأثرت فيها أبلغ تأثير، مما يدعونا إلى الوقوف على تلك الظاهرة، من أجل الإفادة منها في العصر الحاضر، سائلين الله تعالى الإخلاص والسداد والتوفيق والرشاد.

أورد ابن خلكان في كتاب «وفيات الأعيان»، وابن العماد الحنبلي في كتاب «شذرات الذهب»، أن رجلا يسمى المبارك بن واضح كان يعمل أجيرًا في بستان، فجاء صاحب البستان يومًا، وقال له: أريد رمانا حلوا، فمضى المبارك إلى بعض الشجر، وأحضر منها رمانًا، فكسره صاحب البستان فوجده حامضًا، فغضب عليه، وقال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض؟ هات حلوًا، فمضى، وقطع من شجرة آخرى، فلما كسرها وجده أيضًا حامضًا، فاشتد غضبه عليه، وفعل ذلك مرة ثالثة، فتذوقه، فوجده أيضًا حامضًا.

فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال: لا، فقال: وكيف ذلك؟ فقال: لأني ما أكلت منه شيئا حتى أعرفه، فقال: ولم لم تأكل؟ قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه، فعجب من ذلك صاحب البستان، وسأل عن ذلك فوجده حقًا! فعظم المبارك في عينيه، وزاد قدره عنده، وكانت له بنت خطبت كثيرًا، فقال له: يا مبارك، من ترى تزوّج هذه البنت؟ فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين، فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به أمها، وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجًا غير مبارك، فتزوجها، فأنجبت عبد الله بن المبارك(١).

فما كان من هذا الوالد الكريم إلا أن ربى ولده عبد الله على هذه المراقبة، التي تعني: دوام علم العبد بأن الله يعلم ظاهره وباطنه، ولا يخفى عليه شيء من أمره، وقد أثمرت فيه هذه المراقبة الفضائل المتنوعة، من علم وفقه وأدب وزهد وشجاعة وقوة وعبادة وإخلاص لله تعالى، حتى أتاه رجل

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٣٢)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٢/ ٣٦٢).

يومًا يطلب منه النصيحة، فقال له عبد الله بن المبارك: راقب الله، فقال الرجل: وما تفسيرها؟ قال عبد الله: كن أبدًا كأنك ترى الله(١).

وعاش عبد الله بن المبارك حتى أصبح عالمًا كبيرًا، يشهد له القاصي والداني، حتى قال عنه عبد الرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي أنصح للأمة من ابن المبارك(٢).

وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير، إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك(٣).

وكان من أبرز خصاله: الحرص على نشر العلم، وتيسير أمور العلماء والدعاة، وقضاء حوائجهم دون أن يعلم به أحد، وهذه ثمرة المراقبة لله تعالى.

ويدل على ذلك ما أورده الخطيب البغدادي من أن عبد الله بن المبارك كان كثير الاختلاف إلى «طرطوس»، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة، فلم يره، فخرج في النفير (الجهاد في سبيل الله) مستعجلًا، فلما رجع، سأل عن الشاب، فقيل له: محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم (صاحب الدين)، ووزن له عشرة آلاف، وحلفه ألا يخبر أحدًا ما عاش، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال لي: يا فتى، أين كنت؟ لم أرك! قال: يا أبا عبد الرحمن، كنت محبوسا بدين، قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني، ولم أدر، قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله بن المبارك(٤). إنها ثمرة التربية على مراقبة الله تعالى، التي اهتمت بها الحضارة الإسلامية العظيمة.

فلماذا حرصت الحضارة الإسلامية على تكوين الدعاة وتربيتهم على قيمة

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٤٨٠).
(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١١/ ٣٨٨).
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ٣٨٤).
(٤) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١١/ ٣٨٨).

المراقبة لله تعالى؟

أولًا: تؤدي المراقبة دورًا مهمًا في بناء الضمير الحي، الذي لا تغريه الشهوات ولا تستهويه الشبهات، ومن ثم فإنه يثبت أمام التحديات، مستحضرًا معية الله تعالى ومعاونته، ولهذا الأمر ثمرة كبيرة في حفظ الدين الإسلامي، واتخاذه قاعدة لإقامة الحضارة، التي ترضي الله سبحانه وتعالى، وتحقق السعادة للإنسان.

ثانيًا: تسهم المراقبة لله تعالى في إحسان العمل وإتقانه؛ حيث إن العبد الذي يراقب ربه؛ يجتهد في أداء واجبه على أفضل مستوى ممكن من الأداء، بل إنه يحرص على تجويد عمله وإحسانه؛ ولهذا كان الإحسان ثمرة من ثمرات المراقبة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل عن الإحسان، فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

وليست المراقبة في أداء الصلوات أو الشعائر فقط؛ بل في كل الأعمال، فإذا راقب الداعية ربه، وراقب العابد ربه، وراقب العامل ربه، وكذلك بقية الناس؛ فإن هذا يؤدي إلى تحسين الأعمال في كل جوانب الحياة، فإذ تحقق ذلك فإنه يثمر قوة وجودة في البناء الحضاري الإسلامي.

فإذا كانت التربية على قيمة المراقبة لله تعالى لها فاعليتها المهمة في البناء الحضاري؛ فما الوسائل التي اعتمدت عليها الحضارة الإسلامية في تربية الدعاة على المراقبة؟

أولًا: التربية الوالدية والرعاية الأسرية؛ وهي التي يقوم فيها الوالد بغرس قيمة المراقبة في نفوس أبنائه، وقد تجلى ذلك في قصة لقمان وهو يربي ولده على المراقبة، ليكون مثالًا لتربية الدعاة، فيقول: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ١٦].

ويظهر دور الوالد في تربية الدعاة على مراقبة الله من خلال موقف المبارك والد عبد الله الذي ذكرناه.

ومن الأمثلة على دور الرعاية الأسرية في تربية الدعاة على مراقبة الله ما رواه

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩).

الإمام البيهقي قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن قال: سئل جدي إسماعيل بن نجيد: ما الذي لا بد للعبد منه؟ قال: ملازمة العبودية ودوام المراقبة(١).

وروى الإمام الزبيدي، عن سهل بن عبد الله التستري، قال: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فانظر إلى صلاة خالي، محمد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك! فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فلم أزل على ذلك سنين حتى وجدت حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، من كان الله معه، وهو ناظره، وشاهده، كيف يعصيه؟!(٢).

ثانيًا: نصائح المربي وتوجيهاته؛ فهذا رسول الله ﷺ يضرب المثال في تربية الدعاة، من خلال نصحه لسيدنا عبد الله بن عباس، الذي قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...»(٣)، ففي الحديث توجيه من الرسول المربي ﷺ لحبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس وكذلك للأمة من بعده أن يراقبوا ربهم في أعمالهم وأحوالهم.

ومن أمثلة حرص المربين في الحضارة الإسلامية على تربية الدعاة ما فعله أبو نعيم الحافظ الذي كان ملازمًا لأبي عبد الله بن مالك، فقال له: إذا كنت فاعلا فانظر نظر الله إليك، وإذا كنت قائلًا فانظر سمع الله إليك، وإذا كنت ساكتًا فانظر علم الله إليك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥](٤).

كما يلفت المربي نظر الداعية إلى المراقبة لله تعالى من خلال التأكيد على عدم الاغترار بمراقبة الناس وثنائهم، ومن

(١)الزهد الكبير للبيهقي (١/ ٢٨٧).
(٢)إحياء علوم الدين (٣/ ٩٢).
(٣)رواه أحمد بسند صحيح (٢٦٦٩).
(٤)تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٥/ ٢١٩).

ذلك ما قاله أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك(١)، فالداعية يراقب ربه سبحانه وتعالى وينشغل به دون المخلوقين، وخاصة في أوقات الخلوات.

ثالثًا: التربية الذاتية؛ وهي التي يتعهد فيها الداعية نفسه بالمتابعة والمحاسبة ويربيها على المراقبة لله تعالى حتى يكتسبها، وفي هذا يقول الفقيه المحقق الشيخ شعيب بن الحسين الأندلسي: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة(٢).

فإذا اكتسبها فإنها تظهر في سلوكه، وقد يتحدث عنه الناس كمثال للتحلي بها، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك.

قال ابن الجوزي: كان الشيخ أبو بكر بن هوار عظيم القدر، كبير الشأن، دائم المجاهدة، لازم المراقبة إلى الرب(٣).

والناظر في ترجمة الإمام الذهبي لكثير من الأعلام يجد أنه وصفهم بدوام المراقبة لله تعالى حتى اشتهر عنهم ذلك، ومنهم سفيان الثوري، وابن أبي أويس الأصبحي، وخالد البرمكي، ومحمد بن المبارك الصوري، وغيرهم من العلماء والدعاة.

فما أجمل أن نعرف سيرهم، ونقتفي أثرهم، حتى نكون مثلهم.

***

(١)إحياء علوم الدين.
(٢)عنوان الدراية، أبو العباس الغبريني، ص: ٣١.
(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢١/ ١١٥).

أخلاق نبوية

محطات إيمانية في طريق التربية..

إيمان مغازي الشرقاوي

إنه نبينا محمد ﷺ، سيد ولد آدم، المصطفى على سائر خلق الله، رسول الله إلى الناس كافة، البشير النذير لهم، إنسهم وجنهم، وأحمرهم وأسودهم، وعربهم وعجمهم.

قال لنا معرفا نفسه: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلني في خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا، وأنا خيركم نفسًا » (صحيح الجامع)، وقال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (رواه مسلم). فقد اصطفاه الله واجتباه، وأتم به الدين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وعصمه وحفظه من الناس حتى يتم له البلاغ المبين.

هو عبد الله ورسوله، لكنه أحب العباد إليه والمقرب لديه، فقد آتاه الله من الفضائل من كل ما أوتي أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام، فآتاه الله عزم نوح في دعوته، وصدق إبراهيم في وفائه، وانقياد إسماعيل في طاعته، ورفق يعقوب ومحبته، وعفو يوسف مع قدرته، وصبر أيوب في بلائه، وثبات موسى في قومه، وفهم سليمان في حكمه، وبركة عيسى في تعليمه، وحباه الله خلقا عظيما ليس لأحد غيره وزكاه فيه فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وهو في ذلك كله ﷺ إمام الأتقياء، وقدوة المحبين من المؤمنين، والأسوة الحسنة لهم إلى يوم

الدين.

أعظم إنسان

ومع تلك المنزلة الرفيعة والمكانة العالية التي وهبه الله إياها، فإنه ﷺ كان متواضعا غير متكبر، يعترف بفقره لربه فيدعوه ويرجوه، ويستغفره ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة.

وكان يعيش بين أصحابه سهلا لينا، رفيقا شفيعا، رؤوفا رحيما، يخفض لهم جناحه؛ ويؤكد أنه نبي إنسان، يأكل ويشرب، ويصحو وينام، ويتزوج وينجب، ويصح ويمرض، ويحس ويتألم، ويفرح ويحزن، ويحب ويكره، وهو زوج صالح لأزواجه، وأب حنون لأولاده، وصدق وفي لأصحابه، وأخ مخلص في أخوته، وقائد بارع في معاركه، وحاكم عادل في حكمه، قد حاز الفضل والفضيلة من جميع الجوانب؛ إذ آتاه الله الخير كله وجعله أكمل خلقه، ﷺ.

هو أحسن الناس عشرة وأدبا، وأوصلهم رحما، يحب المساكين والفقراء ويجالسهم بتواضع، ويعودهم بحب، ويشهد جنائزهم بصبر، ويجيب دعوة العبد، وهو دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، لا يتكلم في غير حاجة، وكان ضحكه تبسمًا.

تقول عائشة رضي الله عنها تصف أخلاقه: «كان أحسن الناس خلقا، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» (رواه ابن حبان)، «كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته» (رواه أحمد)، «كان بشرًا من البشر؛ يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» (رواه أحمد)، ﷺ.

ويذكر ابن عباس أنه ﷺ «كان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير» (صحيح الجامع)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب النبي ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» (رواه البخاري)، فلقد اجتمع فيه جمال الخلق وحسن الخلق، فهو أجمل من رأى إنسان، وأفضل أظلت السماء، وخير

من حملت الأرض، ﷺ.

الحبيب إلى أمته

فرض الله علينا حبه وطاعته، فهو المحبوب من أمته، وإن قلوبهم لتهفو للقرب منه وتتمنى رؤيته، ﷺ، ولقد أكد وجوب حبنا له فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري)، ولأننا نحبه؛ فإن علينا أن نتعرف عليه وننظر ماذا يحب، وماذا يكره؟ ما الذي يرضيه منا؟ كيف نستأثر بحبه ونفوز بقربه؟ لا نشبع من حديثه، بل نلازمه في سيرته ونمشي على طريقته ونتتبع خطاه وسننه.

ألا وإن المحب الصادق يهتم بكل حرف يسمعه من حبيبه، يصدقه فيه ويؤمن به، ويدعو إليه، وينافح عنه ويذب تحريف المبغضين له، وتأويل المشككين فيه، يقبل على رسائله بلهفة وشوق، وإذا طلب منه طلبًا فإنه يسعى بكل جهد وحب لامتثال أمره، طيبة بذلك نفسه، آملا في إرضاء الحبيب ﷺ.

فلينظر كل منا كيف يكون حبه للنبي ﷺ فحبه عبادة وقربة لله، وجدير لكل أن يختبر صدق هذا الحب فيسأل نفسه: أين أنا من أمره ونهيه؟ وأين أنا من شرعه وحكمه؟ وأين أنا من منهجه وسنته؟ وأين أنا من أدبه وخلقه؟ ولتسأل نفسك أيها المحب! لو أن رسول الله ﷺ كان حيا بيننا وأتاك زائرًا في بيتك، وكان مصاحبًا لك في عملك، ناظرًا إلى عبادتك وخلقك، يشهد معاملتك لزوجك، وتربيتك لولدك، وعلاقتك برحمك، وغير ذلك مما تعلمه من نفسك، أيسرك أن يراك كما أنت الآن؟ أم أن علامات الخجل والاستحياء ستبدو على وجهك؟ سؤال يجيب عنه المحبون ليصلح حالهم، ويرقى حبهم لسيد ولد آدم ﷺ.

***

أخبار الجامعة

من أخبار الجامعة السلفية

اجتماع سعادة الأمين العام مع هيئة التدريس حول تطوير التعليم في الجامعة:

وفي إطار السعي الدائم نحو تحسين الجودة الأكاديمية والارتقاء بالمنظومة التعليمية، عُقد اجتماعٌ خاصٌ لهيئة التدريس، يوم السبت ١١ ذو القعدة ١٤٤٥هـ، الموافق ١٠ مايو ٢٠٢٥م، في دار الضيافة بالجامعة، بحضور سعادة الأمين العام فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي – حفظه الله – الذي افتتح اللقاء بكلمة توجيهية مؤثرة، حثّ فيها الأساتذة على مضاعفة الجهد، والارتقاء بأساليب التعليم والتربية، وضرورة غرس القيم في نفوس الطلاب، وتنمية روح المبادرة والمسؤولية لديهم.

ثم دار نقاشٌ بنّاءٌ بين الحضور، تم فيه تبادل الآراء، وطرح عددٍ من الاقتراحات التعليمية الرائدة، التي تهدف إلى تحقيق التميز العلمي، وتعزيز بيئة التعلم الفاعل داخل الجامعة.

انعقاد الجلسة الأولى من برنامج "إتقان" في الجامعة السلفية – بنارس

ضمن مبادرات جمعية ندوة الطلبة الهادفة إلى الارتقاء بالمستوى العلمي والثقافي والمهاري لطلبة الجامعة، انطلقت – بحمد الله تعالى – فعاليات الجلسة الأولى من برنامج "إتقان لتنمية المهارات العلمية والثقافية" مساء يوم الخميس ٢٢/ ٥/ ٢٠٢٥م، بعد صلاة العشاء، في قاعة المحاضرات بالجامعة، برئاسة فضيلة الدكتور عبد الحليم بسم الله حفظه الله، وذلك تحت عنوان: "الوقف: مكانته الشرعية وقانون الوقف لعام ٢٠٢٥م".

ويُعدّ برنامج "إتقان" من البرامج النوعية التي تهدف إلى صقل مواهب الطلبة، وتنمية قدراتهم، وتوسيع مداركهم في القضايا المعاصرة والمسائل الشرعية والثقافية، حيث تُعقد جلساته بشكل دوري مرتين كل شهر، يتم خلالها تناول موضوعات هادفة ترتبط بالواقع، وتلامس هموم الأمة واحتياجات المجتمع.

محاور البرنامج وفقراته:

افتُتح البرنامج بتلاوة مباركة من

الطالب قمر إرشاد بن إرشاد عالم، أعقبها إنشاد نبوي عطر قدّمه الطالب سلطان لقمان أنصاري. ثم ألقى الطالب إظهار الله شريف الله كلمة باللغة الأردية حول موضوع "الوقف وأهميته". تلتها كلمة علمية للطالب محمد شِهاد الله بن سيف الحق، استعرض فيها الجوانب الفقهية والاجتماعية للوقف، ولاقت استحسان الحضور. ثم قدّم الطالب محمد شهباز أنصاري محمد طاهر نشيدًا أضفى على الجلسة حيوية وتفاعلًا. بعد ذلك، قدّم الطالب عطاء الرحمن بن محمد إسلام بحثًا متكاملًا تناول فيه الجوانب الشرعية والقانونية والتطبيقية للوقف، تميز بالطرح المنهجي والربط بين الأصالة والمعاصرة.

ثم شهدت الجلسة حوارًا ثقافيًا بين فريقين:

الفريق الأول: عتيق الرحمن بن فضل الرحمن

الفريق الثاني: محمد ذيشان بن محمد عرفان

وقد دار الحوار حول مميزات الجامعة السلفية ودورها الريادي في نشر العلم وبناء الوعي، مما أضفى على الجلسة بُعدًا تفاعليًا وفكريًا مميزًا.

ثم ألقى مشرفُ البرنامج، فضيلةُ الدكتور أمير الإسلام المدني/ حفظه الله كلمةً توجيهيةً نافعة، قدّم فيها جملةً من النصائح القيّمة والتوجيهات السديدة لطلبة العلم.

فمن أبرز ما نوَّه به فضيلته:

- ضرورةُ حرص الطالب على الاستفادة من هذه البرامج العلمية والتربوية المباركة التي تُنظَّم لصقل المهارات وتنمية المدارك.

- وجوبُ التحلي بالشغف الدائم لتعلُّم الجديد، والحرص الصادق على الازدياد من العلم في كل مرحلة من مراحل الحياة.

- التحلي بالتواضع في طلب العلم، واجتناب الكِبر والغفلة؛ فالعلم لا يُنال بالادّعاء ولا يبلغ منتهاه بالركون، بل هو بحرٌ لا ساحل له.

ثم استشهد فضيلته بقول الإمام أحمد رحمه الله -حينما سئل عن زمن طلب العلم-:من المحبرة إلى المقبرة إشارة إلى أنّ طلب العلم لا ينقطع حتى الممات.

وأكّد حفظه الله أن من لم يُفْنِ حياتَه

ووقتَه وجهدَه في سبيل تحصيل العلم، فلن يظفر منه إلا القليل.

وفي ختام كلمته، وجَّه شكره لإدارة الجامعة السلفية، مثنيًا على جهودها المشكورة في رعاية الطلاب وتنمية قدراتهم، عبر ما توفّره من وسائل متنوّعة وفرص نافعة، ومن أبرزها هذه البرامج الهادفة التي تُنظَّم بعنايةٍ وحُسن إعداد.

اختُتم البرنامج بكلمة توجيهية جامعة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الحليم المدني حفظه الله، حثّ فيها الطلبة على الجد والاجتهاد، والارتقاء في ميادين العلم، والأخلاق، والفكر، مؤكدًا على أهمية مثل هذه اللقاءات النوعية في بناء شخصية الطالب المسلم المتكامل، الواعي برسالته.

لقد شكّلت هذه الجلسة انطلاقة مباركة لبرنامج "إتقان"، جمعت بين العلم والثقافة، الحوار والبناء، والإبداع.

ونسأل الله تعالى أن يبارك في هذا البرنامج، ويجعله لبنة راسخة في تكوين جيل واع، متقن، مستنير بنور الشرع والعقل، ومؤهل لحمل رسالة الإسلام بعلم وفهم ووعي.

وفي ختام الجلسة، قدّم الطالب محمد أبو بكر محمد فخر الدين شكره الجزيل لجميع المشاركين والحضور، معلنًا اختتام الجلسة الأولى من البرنامج.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(رئيس التحرير)

PRINTED BOOK

May & June 2025

ISSN 2394-5936
Vol. LVI No. 05- 06

R.No. 47416/88- R.N.I. No. R.P.A./Regd No. VSI. 30/2015-2017

SAUTUL UMMAH

THE ISLAMIC CULTURAL & LITERARY MONTHLY MAGAZINE

Website: www.sautulummah.org

من مطبوعات الجامعة السلفية

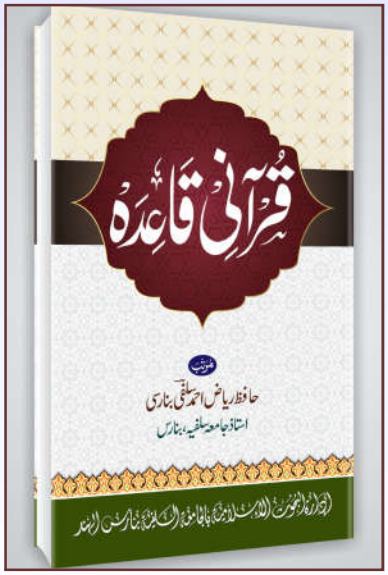

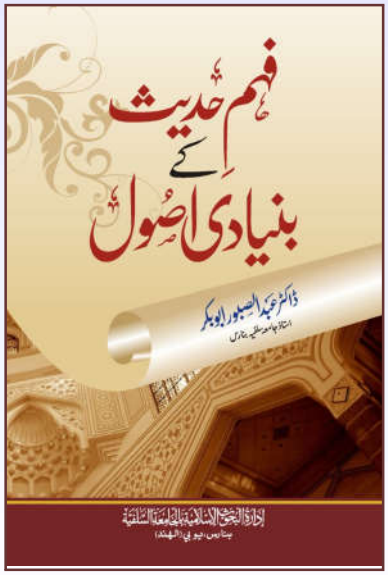

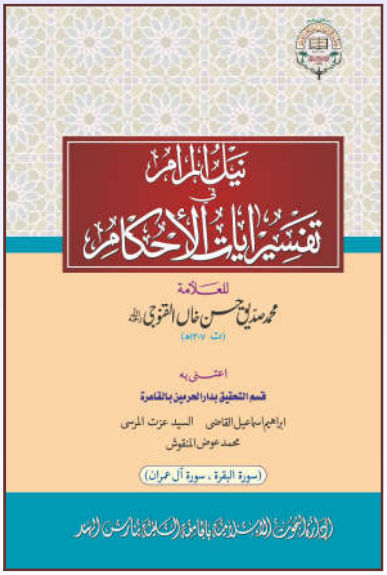

Published by: Obaidullah Nasir, on behalf of Darut-Taleef Wat-Tarjama

B.18/1-G, Reori Talab, Varanasi, Edited by: Khursheed Alam Madani

Printed at Salafia Press, Varanasi.